ویژهٔ تراجم، کتاب‌شناسی، نسخه‌پژوهی، نقد کتاب

کتاب شیعه

سال اول، شمارهٔ اول، بهار و تابستان ۱۳۸۹
دو فصلنامهٔ مؤسسهٔ کتاب‌شناسی شیعه

۱

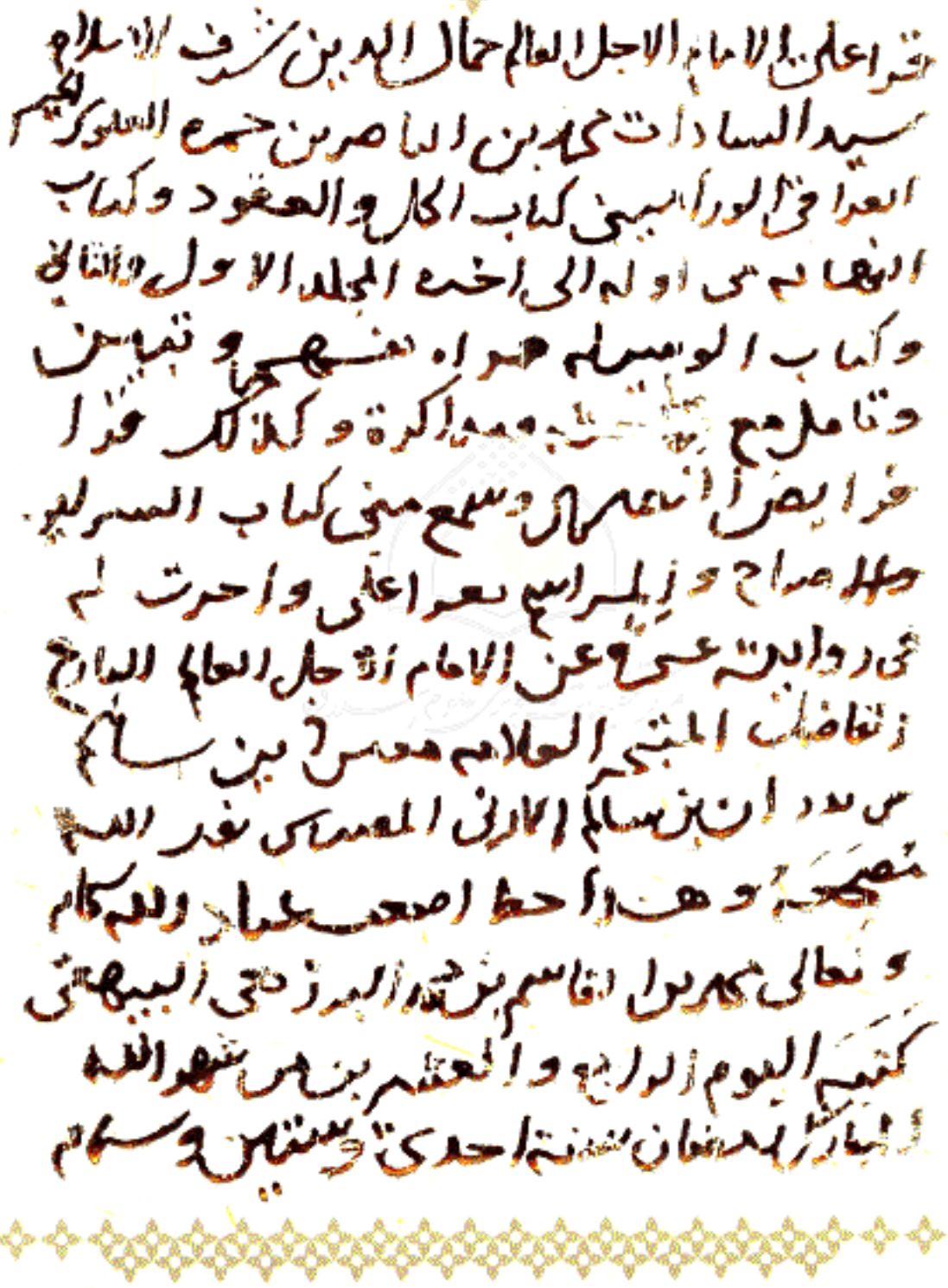

نویسنده کتاب «الیاقوت» ✧ حاج میرزا أبوطالب اصفهانی ✧ برگی از زندگی سید جمال‌الدین اسدآبادی ✧ العلامة السید محمد سعید الحبّوبی ✧ نواب سید محمد علی خان «تایرو» ✧ شرح حال میرفندرسکی ✧ شرح حال شیخ بهائی در مشکاة العقول ✧ مکتوباتی از علمای امامیه هند ✧ رساله نویافته از شمس‌الدین محمد جباعی ✧ نسخه‌ای مهم و تازه یاب از خلاصة البلدان ✧ المدنیّات ✧ برگ‌هایی از مجلة العلم ✧ حواشی بر فهارس کتابخانه ملی ✧ غنیمة السفر في أحوال الشیخ جعفر ✧ مناظرة بین فقیهین ✧ اجازه‌ای نویافته از علامه سیّد محسن امین عاملی ✧ وصیت نامه علامه سید محسن امین عاملی ✧ ...

کتاب پیوست: اجازة العلامة السید حسن الصدر للشیخ آقا بزرگ الطهرانی

رسائل للسيد الأجل مهنا[٩٠]
أعلى الله مقامه

١. في رسالة السيد مهنا ردّاً على قصيدة ابن الحسام:

بسم الله الرحمن الرحيم

رب تمم وأعن ياكريم

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه مهنّا بن سنان بن عبد الوهّاب الحسيني المدني، عفا الله عنهُ بفضله: إنّني لمّا وقفت في العشر الأواخر من صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، على الأبيات التي أنشأها المولى جمال الدين بن الحسام وصيّةً لابنه، في معاملة الأشراف بالجفاء، وإهانة قدرهم، والتحقير لأمرهم، وعدم الاكتراث بدعائهم، وإظهار البراءة من ولائهم، حصل عندي من ذلك المقتم المتعد[٩١] وورد على قلبي منه المؤلم المكمد، إذ صدر هذا الكلام ممّن يدعي محبّة أهل البيت عليهم السلام، فإنّ المبغض يقول بملء فيه، ولا يندر[٩٢] عاقبة ما وقع فيه، فأمّا المنيب إلى المحبة والسلم، ويدعي أنّه من أهل الأدب والعلم[٩٣] فكيف لا يقيد عن الهجا ألفاظه، وعن الخنا ألحاظه، ولم يرضَ هذا القائل بقول ذلك لابنه بمفرده، حتّى جعلها وصيّةً يعمل بها في حياته ومن بعد مفتقده، لا سيما إذ جعلها نظماً مخلّداً في بطون الأوراق، مشهوراً عند أهل الخلاف والوفاق، مع علمه بميل النفوس إلى محبة المنظوم من الكلام، وانتشاره بين الخواص والعوام، مع ما تضمنه من الحث على المنع الذي جبلت النفوس عليه، وإسقاط بعض التكليف الذي ترتاح الأنفس الشحيحة إليه.

ولقد عجبت ممّن وقف على هذه الأبيات من أهل الإيمان كيف لا يردّ على هذا القائل الغضبان، الذي أخرجه غضبه عن الطريق، ومال به عن مذهب أهل التحقيق. وكيف جاز له هذا الكلام مع قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾[٩٤]، وإجماع المفسّرين على عموم ذلك في ولد عليّ وفاطمة عليهم السلام، ولمّا نزلت هذه الآية الكريمة قال الصحابة رضي الله عنهم[٩٥]: «يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم فقال: علي وفاطمة وولدهما». وكذلك آية الخمس[٩٦] أجمع المفسرون على عمومها، والصحيح المعول عليه أنّ العدالة لا تشترط في مستحق الخمس، والأخبار والآثار في ذلك أكثر من أن تحصى.

٩٠. كذا جاء على الورقة رقم ٤٤٢ من المخطوط، دون ذكر لابن الحسام. «بقلم أقل العباد عملاً وأكثرهم أملاً محمد بن حسن الشهير بابن قاسم الحسيني العيناثي العاملي وذلك في أوائل شهر صفر (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م) في المشهد الرضوي عليه السلام». هذا ما ختم به الكاتب الورقة رقم ٤٤٣ من المخطوط.

٩١. قتم: سواد ليس بشديد. والعد: (في الطب) طفح بشري (مثل حب الشباب). واللفظة الأولى غير واضحة.

٩٢. هذه اللفظة غير واضحة و كأنّ الراء باء.

٩٣. إشارة إلى أهمية موقع ابن الحسام المعروفة كعالم وأديب.

٩٤. الشورى / ٢٣.

٩٥. في نسخة: رضوان الله عليهم.

٩٦. الأنفال / ٤١ ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى ...﴾.

www.noormags.ir

ولا يظنّ ظانّ أنّي أعتقد مساواة المعصومين عليهم السلام مع غيرهم، ولا مساواة الصالحين بغيرهم، ولكنّي أقول مثلاً: أنّ الصوم قربة إلى الله تعالى و جنّة من النار مع تفاوت درجاته، فصوم أيّام البيض أفضل من صيام باقي الشهر، وصوم يوم الخميس والإثنين أفضل من صوم باقي الأيام، وعلى هذا الترتيب. فهذه سنّة الله تعالى في خلقه وأمره لم يجعل الجميع بمنزلةٍ واحدة، فسبحان المتفضّل بأصول النعم وفروعها، المرشد إلى معقول العلوم ومسموعها، فلو سلك هذا القائل مسلك الأدب مع الله سبحانه، ومع رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيت رسوله عليهم السلام، لكان أولى به وأليق بمعتقده، وأليق من النسب إليهم بأي جهة كان من جهة الأنساب، وأزال عنهم انتساب الضيق والحرج، وأكرمهم على ما بهم من العوج. فقد روي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه سُئل بعد وقعة [الجمل] عن عائشة وعن سبب خروجها لقتاله، فذكر أشياء ثم قال عقيب ذلك: ولها بعدُ حُرمتها الأُولى[٩٧]، وحسابها على الله تعالى. وقد ورد في الحديث الصحيح عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخبر عن امرأة من بني إسرائيل أنّها دخلت الجنّة لأجل كلب وجدته عطشاناً، فنزعت خفها فاستقت له ماء فسقته، فشكر الله سبحانه لها ذلك، فأدخلها الجنّة[٩٨]. ولقد أذكّر في هذا الحديث الدال على كرم ربّنا سبحانه و تعالى، وقبوله منّا أيسر الأعمال والفضائل ما قاله بعض شعراء الأوائل:

رأى المجنون في البيداء كلبا ... فمدّ له من الإحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ... وقالوا قد أنلت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة إنّ عيني ... رأته واقفاً في باب ليلى

وهذا القائل قد زاد في إهانة الأشراف ومعاملتهم بالخيبة والردّ، حتّى لقد جاوز في ذلك الحد. وما أحسن ما كان ينشده شيخنا الشيخ نجم الدين أبو القاسم بن سعيد[٩٩] [ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م] رحمه الله تعالى:

إن شئت صفني وأنصفني بلا سرفٍ ... فالمدح أكثره كالذم بهتانُ
ولا تضعني بإفراط المديح ففي ... زيادة الحد للمحدود نقصانُ

هذا قوله رحمه الله تعالى في المفرط في المدح، مع ما جرت به عادة الشعراء من استعمال التوسع والمجاز والتغالي في المدح، فكيف يكون حال المفرط في الذم، بل أقول لو نزل ضيفٌ ذمّي على مسلم لاستحى أن يقابله ببعض ما أوصى به هذا المؤمن[١٠٠] ابنه في معاملة الأشراف. فقد حكي عن بعض العرب أنّه نزل به ضيفٌ يهوديّ فأكرمه، فمرض اليهودي ومات عنده، فقام به وكفّنه أحسن كفن، وجهّزه أحسن جهاز، وحمله إلى قبره، فلما وضعه على شفير قبره رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنّه ضيفٌ، وأنت تعلم ما يجب للضيف، فإذا صار في قبره فشأنك بالخبيث. فكيف يعم هذا المؤمن بوصيّته[١٠١] لولده إهانة كل ضيفٍ ينزل عليه من الأشراف لأجل نادرة جرت من بعضهم.

٩٧. أي باعتبارها زوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
٩٨. بمعناه في صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٠٠ و غيره.
٩٩. ترجمته: الأمين: أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٨٩.
١٠٠. تجدر الإشارة هنا إلى هذه الصفة (المؤمن) التي يصف بها السيد مهنا ابن الحسام التي هي دالّة على المعرفة الشخصية.
١٠١. خ: بوصية.

www.noormags.ir

وقد روينا بسندٍ متّصلٍ موثوق إلى ابن عنين[١٠٢] الشاعر المعروف أنّه بعث معه الملك المعظّم بمالٍ إلى مكة شرّفها الله تعالى، فلمّا قارب مكّة خرجت عليه جماعة من الأشراف، فنهبوا ما معه، وناله منهم شدّة وجراحةٌ، فكتب إلى الملك المعظّم قصيداً أوّلها:

أعيت صفاتُ نداك المصقع اللسنا ... وجزت في الجود حدّ الحسن والحسنا

وهي طويلة يقول فيها:

طهّر بسيفك بيت الله من دنسٍ ... ومن خساسة أقوامٍ به وخنا

ولا تقل ساحل الإفرنج أفتحه ... فما يقاس إذا ما قسته عدنا

ولا تقل إنّهم أولاد فاطمةٍ ... لو أدركوا آل حربٍ قاتلوا الحسنا

فلماكان في الليل رأى في منامه امرأة مهيبة وحولها نسوةٌ فسأل عنها، فقيل له: هذه فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فتقدّم إليها وسلّم عليها فأعرضت عنه، فقال لها: يا بنت رسول الله إنّي لكم محبّ وإنّي لكم لشيعة. فقالت له: يا فلان لقد سمعنا ما قلت فهل سمعت ما قلنا، ثم قالت صلوات الله عليها:

حاشى بني فاطمة كلهم ... من دنسٍ يعرض أو من خنا

وإنّما الأيامُ في صرفها ... وفعلها السوء أساءت بنا

لإن أتى من ولدي واحدٌ ... تجعل كلّ السبّ عمداً لنا

فتُب إلى الله فمن يقترف ... ذنباً بنا يغفر ما قد جنا

فاصفح لأجل المصطفى أحمدٍ ... ولا تثر من آله أعينا[١٠٣]

قال: فأنشدتها في منامي:

عذراً إلى بنت نبيّ الهدي ... تصفح عن ذنب مسيءٍ جنا

وتوبة تقبلها من أخي ... إساءةٍ توقعه في العنا

والله لو قطعني واحدٌ ... منهم بسيف البغي أو بالقنا

لم أره في فعله ظالماً ... بل إنّه في فعله أحسنا

قال: فلما انتبهت كتبتُ بالمنام جميعه والأبيات إلى الملك المعظّم فأرسل إليّ بمالٍ جزيل وكسوةٍ تفرّقتها في الأشراف والأخيار. والآثار في ذلك كثيرة، والحكايات بذلك أشهر من أن تذكر.

وقد ذكرت في هذه الأوراق أبيات المولى جمال الدين التي أوصى بها لولده، ثمّ أتبعتها بالجواب الذي منح الله تعالى به عليّ، فمن وقف عليها بعين التقوى لا بعين الهوى، عرف الحقّ فإنّ الرجال تُعرفُ بالحق ولا يُعرفُ الحق بالرجال. وهذه أبيات المولى جمال الدين بن الحسام:

١٠٢. ترجمته: عباس القمي: بيت الأحزان، ص ٢٧ (القصيدة والرواية).
١٠٣. كذا وردت عند القمي كل هذه الزيادات المركّة [!].

www.noormags.ir

احـذر بُنـيّ بـأن تغطّـي وارداً ... بقبـاك[١٠٤] منسوباً إلى الشرفـاء
يسـري به ليـلاً وتصبـح عاريـاً ... في الدارسـين وبـاً بغير قبـاء[١٠٥]
وإذا أتـاك فغطّـه بثيابـه ... متوسّـداً حجراً على الرمضـاء
وامهـد لجنبيـه صعيـداً طيّباً ... فالتـرب للأشـراف خيـر وطـاء
واجعـل له خبـز الـزوان ضيافـة ... وإدامَـهُ مـن بقلـة الحمقـاء[١٠٦]
ليـرى فـي إثـر ذلـك نشـوةً ... غلبـت عليـه كنشـوةِ الصهبـاء
ويـروح مغبـوناً بأسـوأ حالـةٍ ... عنكـم ولا تحفـل لـه بدعـاء
وإذا ابتغـى لـك رقعـة بشـفاعـةٍ ... فـي الخمس تكتبها إلى الأحيـاء
فاكتـب إلى سـعدٍ لـه وابعـث به ... ليكـون أخبـث صفقـة ورجاء
أو نحـو عطّـافٍ فوجّـه وجهـه ... ليمـرّ عنـه ضامـر الأحشـاء
أو نحـو دار البـدر فـارمِ بغرمه ... تقـذف بـه فـي حوزة خشـناء
إلاّ الذيـن تـرى لهم مـن ربّهـم ... خوفـاً يصدّهـم عـن الفحشـاء
أهـل الفضائـل والتقى فودادهـم ... فـرضٌ على السـرّاء والضـرّاء
هـذه وَصـاة أبيـك غيـر خفيّـةٍ ... فاقبـل وصيّـة أشـفق الآبـاء

وهذه الأبيات التي أجاب بها السيد نجم الدين مهنّا متّع الله بحياته وأجاد من بركاته:

يـا معشـر العلمـاء والفضـلاء ... والمنتميـن إلـى بنـي الزهـراء
مـا تعجبون مـن الـذي فـي قولـه ... أوصـى بنيـه بجفـوة الشـرفـاء
جعـل الصعيـد فراشـهم وغذاهـم ... زيوانـة مـع بقلـة الحمقـاء
وغـدا يبالـغ فـي إهانـة قـدرهم ... بقسـاوة وفضاضـة وجفـاء
واللـه مـا هـذي مقالـة صـادق ... فـي حبّـه للسـادة النجبـاء
بـل لو أتـى هـذا الكـلام وبعضـه ... ممّـن يعانـد مـن ذوي الشـحنـاء
لتسـارع العقـلاء فـي تكذيبـه ... مـن عظم مـا أبـدى من الفحشـاء
هـلاّ اقتدى هـذا المحـبّ بزعمـه ... فـي حبـه بمقالـةِ العلمـاء
وبمـا أتى في سـورة الشـورى لهـم ... من فـرض حبّهـم علـى الأحيـاء
فـإذا وجدنـا صالحـاً فنحبُّـهُ ... للـه فـي السـراء والضـراء

١٠٤. خ: تعطي وارداً بفنائك.
١٠٥. وبا أو الوبأ: الطاعون أو كل مرض فاشٍ عام. والقباء: الثوب ولفظ (وبالغين) غير واضح في خ وكأنها: ومانعين.
١٠٦. إدام: الحقر المائل إلى السواد أو السمرة. البقلة الحمقاء: البقلة البرية عشبة تنبت في الربيع، وهي صنفان: الحمقاء وطعمها مرّ، أما الصنف الثاني فهو حلو الطعم وشائع أكله في الربيع.

www.noormags.ir

وإذا وجدنا غيره فنحبّه ... لرسوله ولآله الكرماء
أولا فماذا الفرق بين محبهم ... أو غيرهم من سائر الصلحاء
إذ كل شخص صالح فوداده ... حتمٌ ندين به بغير مراء
ولقد أتى عن بعض أهل العلم ما ... فيه الشفاء وحسرة الأعداء
قالوا جميعاً إنّ آل محمدٍ ... مثل الكتاب قرينهم بسواء
يرعى الجميع ويُكرَمون محبةً ... لا فرق في الصلحاء والسفهاء
فالصالح المعروف منهم يُقتدى ... بفعالهِ كالآيةِ الغرّاء
والغير يرعى قربةً و محبةً ... كالآية المنسوخة الأنباء
لا يقتدى بفعاله لكنّه ... يُرعى ويكرم حرمة الآباء
فالله أخبر عن جدارٍ مائلٍ ... فأقامه خضرٌ بغير جزاء
وأرى الذي قد قال هذا لابنه ... أوصاه ضد وصية الحكماء
ويمنّ أن أسدى إليهم منّة ... مبرورةً من أتفه الأشياء
والمنّ للّه الكريم وفضله ... ورسوله ولآله الشفعاء

تمّت الرسالة وللّه الحمد والمنّة

www.noormags.ir

٢. في رد ابن الحسام على رسالة السيد مهنا :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد للّه ربّ العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، يقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن أبي الغيث عفى الله عنه ، إنّني لمّا وقفت على ما ألّفه المولى الأجلّ السيد الجليل المسمّى مهنّا بن سنان ، الذي أيّده الله للصواب [١٠٧] من إنكاره علينا الأبيات التي تضمّنت الوصاءة بالتحرّز ممّن لا يوثق بأمانته ومعاملته بقلّة الاحتفال بالمأكل والدثار والفرش ، وإتحافه بالرقع التي لا تجدي نفعاً . وعقّبتها بالاستثناء في حسن المعاملة لمن كان من أهل الديانة والعفاف والتقوى والصيانة فأقول :

أوّلاً : أنّ ذلك كان على سبيل المزح والدعابة بين بعض الإخوان والمطايبة ، ولم يخرج بذلك الرجل المقول فيه تلك الأبيات ، ولا تغير [١٠٨] عن حاله في حسن العشرة وطيب المحادثة . وما زال الإخوان يجري بينهم الجد والهزل والدعابة . فقد روي عن سيّدنا رسول الله ﷺ أنّه قال : أمجنُ ولا أقول إلاّ الحق [١٠٩] . وقال حبيب بن أوس الطائي [١١٠] يمدح رجلاً :

الجدُّ شيمته وفيه فكاهة ... سجحٌ ولا جدٌّ لمن لم يلعبِ [١١١]

وكان ينبغي لهذا السيد أن يتأمل هذه الحادثة قبل الإنكار ، الذي تجاوز فيه الحد كما ادعى علينا [١١٢] ، وينصف بيننا وبينه ، ويميّز فعلنا وفعله ، ويقابل كلامنا بحكم حادثته . وأنا الآن أبيّن وجه الخطأ فيما اعتمد بالدعوى والبهت فأقول :

لعمري لقد أنكرتَ ما ليس منكراً ... وأعرضت عن إنكار ما هو منكرُ

لا خلاف بين علماء الفقه أنّ من شروط إنكار المنكر أن يظهر للمنكِر استمرار فعل القبيح ، وعدم الإقلاع عنه . وهذه واقعة لها منذ جرت نيف وعشرون سنة [١١٣] ، فمن أين له العمل بالاستمرار عليه ، هذا إذا ثبت أنّ ذلك منكراً ، وأنا أبين أنّ القصة حقّ ، وأنّها مبنية على كتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ ، الجارية إلى يوم القيمة ، بإيضاح من القول (إن شاء الله تعالى) [١١٤] بمشية الله سبحانه فأقول :

الواقعة التي جرت في حقّنا من صاحبنا لا ريب عند كلّ عاقل في قبحها ، وأنّها مما يستحقّ بها العقاب . قال الله تعالى : ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم**﴾ [١١٥] ، ولم يستثنِ شريفاً ولا وضيعاً ، فيا ليت شعري لو تحاكمت أنا والذي سرق دثاري ، وغدا به سرّاً ليلاً من بيتي ، إلى رسول الله ﷺ ، أو إلى وليّ أمر من ولاة الإسلام ، واعترف به [١١٦] . أكان يقول الحاكم : إنّي لا أعاقبك لأنّك شريف مستثنى في حكم آية القطع ، فما أظن ذلك .

١٠٧ . يتضح جلياً هنا ، ومن هذا الدعاء والذي سيتكرر بصيغ أخرى هو التزام الفقيهين بأدب المناظرة وأهدافها .

١٠٨ . هذه غير منقوطة في خ .

١٠٩ . في شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ : إنّي لأمزح ولا أقول إلاّ الحق . ومثله في البصائر والذخائر ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ ، والتذكرة الحمدونية ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ، وانظر ما سيأتي في الجواب .

١١٠ . أبو تمام : الشاعر ، ترجمته : الأمين ، أعيان الشيعة ، ج ٤ ، ص ٣٨٩ .

١١١ . سجح : سَهل ورفق وفي ديوان أبي تمام ، ج ٣٥ : سُجُحٌ .

١١٢ . دلالة على ما أصاب ابن الحسام من أذى معنوي .

١١٣ . نقول : إذا كان السيد مهنا قد وقف على القصيدة في العشر الأواخر من شهر صفر (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) ، فإنّ الشيخ إبراهيم يعيد الحادثة إلى عشرين سنة مضت ، فتكون الحادثة حصلت في العام (٧٠٦هـ/١٣٠٥م) تقريباً .

١١٤ . لم ترد في خ .

١١٥ . المائدة / ٣٨ .

١١٦ . يشير هنا ابن الحسام إلى ولي الأمر ، ثم يسميه الحاكم الذي ولاه الإسلام واعترف به ، يعني الفقيه الجامع لشرائط الحكم وهو عنده الشهيد الأوّل (نائب الإمام) ، وهذه قضية مهمة يثيرها ابن الحسام كفقيه لعله يعتبرها عنده .

www.noormags.ir

ولقد نزل بي من هذه العصابة ـ التي لا أؤثر تعيينهم بهذه المثالب [١١٧] ـ رجلٌ قد نيف على السبعين سنة فبالغت في إكرامه، وأمهدتُ له عند النوم فراشاً حسناً، ودثّرته بأحسن دثار كان عندي، وأمرت بعض صبياني بالمبيت عنده، لحاجةٍ تعرض له من عوز ما أن يرام في الليل، وغير ذلك، فجاءني الصبي آخر الليل مذعوراً، فسألته عن حاله، فقال: إنّ ضيفنا قام إليَّ حين نمت، ورام أن يفعل بي فاحشةً، فأخذت عصاً كانت معه فضربته بها ضرباً مبرِّحاً، حتى دفعته عن نفسي، وأخذ دابّته وانصرف، ولم يحضر عندي إلى الآن. ويقول هذا السيد عنّي: هذا الغضبان. فمن لا يغضب لمثل هذه القبائح [؟].

وأمّا ادّعاؤه إجماع المفسرين على أنّ آية المودّة جامعة لمن ولدته فاطمة عليها السلام، فهذه دعوى منه محضة [١١٨]، ويُعكَسُ الأمرُ عليه بآيات كثيرة، ومذهب أكثر الإمامية أنّهم أُولو الأمر القائمون مقام الرسول صلى الله عليه وآله، روي ذلك عن علي بن الحسين عليه السلام، والأخبار واردة في ذلك، وأنا أذكر منها ما يصلح عند المصير إليها [١١٩]، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**ولو كانوا اباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...**﴾ [١٢٠]. وما أمر الله سبحانه بإقامة الحدود وإهانة من مرتكبي الفواحش إلاّ عامّاً، ولم يستثنِ شريفاً من غيره. ولقوله تعالى: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما مائة جلدةً ولا تأخذكم بهما رأفةٌ في دين الله**﴾ [١٢١]. ولعمري إنّ الحد إذا وجب على الشريف إن كان قتلاً أو قطعاً أو تعزيراً فإنّ فيه غاية الإهانة والضرر. فعلى قاعدة السيد لا يجب عليه شيئ من ذلك لأنّ فيه إهانة، ونحن نراعاهم لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله، نعوذ بالله من هذا الاعتقاد، ولو شئت لأطلنا، لكن القليل كافٍ لمن أنصف وأحين البصر وأحسن النظر.

وأما المنقول من السنة المأثورة والأخبار المشهورة فأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقلى [يلقى] أهل المعاصي بوجوهٍ مكفهرّة، والتزهيد في مجالستهم. وقول أمير المؤمنين عليه السلام وقد وصف الإيمان وشعبه وقال في جملتها: «شنآن الفاسقين» [١٢٢]، ولم يستثنِ أحداً من غيره، ولم يرخص الله تعالى ولا رسوله ولا الأئمة الراشدون (صلوات الله عليهم أجمعين) لأحدٍ من الخلق في معصية الله تعالى بل قد هدّد الله سبحانه وتعالى سيّد ولد آدم وحذّره فقال: ﴿**ولقد أوحِيَ أليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾ [١٢٣] ﴿**قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**﴾ [١٢٤]. ولقد رأينا بإسناد متّصل صحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صعد الصفا ونادى بأعلى صوته: «يا بني هاشم يا بني عبد المطلب، لا يأتي الناس يوم القيامة يحملون الآخرة، وتأتون تحملون الدنيا تقولون نحن قرابة محمد، والله ما قرابتي منكم من عصى الله وإن قَرُبَتْ لحمته، فاتقوا الله اتقوا الله» [١٢٥].

وقد قيل إنّه لما خرج زيد بن موسى الكاظم عليه السلام بالبصرة بعث إليه المأمون بخيل فأُسِر، وحُمِلَ إلى المأمون، فقال المأمون: اذهبوا به إلى أخيه الرضا، فلما دخل عليه قال: يا زيد أغرّك قول سفهاء أهل الكوفة: إنّ فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار، ذلك الحسن والحسين عليهما السلام،

١١٧. ثلب: تلطخ بالعيوب. ولفظ «تعيينهم» غير منقوطة في خ.

١١٨. لعل ابن الحسام يريد القول بأن السيد مهنا قد اجتهد ولم يصب لأن معنى محض يفيد الخصوصية.

١١٩. نشير هنا إلى المنهج الرصين الذي يتبعه ابن الحسام في طرح حيثياته أو دفاعه الذي يريد من ورائه الإقناع.

١٢٠. الحشر / ٢٢.

١٢١. النور / ٢.

١٢٢. الإمام علي: نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة ٣١، وهي عندما سئل عن الإيمان.

١٢٣. الزمر / ٦٥.

١٢٤. الأنعام / ١٥ و الزمر / ١٣.

١٢٥. قريب منه: الشيخ الكليني: الكافي، ج ٨، ص ١٨٢، حديث رقم ٢٠٥.

www.noormags.ir

فإن كنت ترى أنّك تعصي الله وتدخل الجنّة، ورسول الله ﷺ أطاع الله فدخل الجنّة، فأنت إذاً أكرم على الله من رسول الله ﷺ، إنّه لا يُنال ما عند الله تعالى إلا بطاعته، وأنت زعمت أنّك تناله بمعصيته فبئس ما ترى. فقال زيد: أنا أخوك وابن أُمك، فقال الرضا عليه السلام: أنت أخي ما أطعت الله تعالى، إنّ نوحاً قال «ربّ إنّ إبني من أهلي»[١٢٦]، فأخرجه الله من نسبه[١٢٧] بمعصيته[١٢٨].

وقد روى الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي قال: «خدمت سيّدنا الإمام أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ثمانية عشر سنة، فلما أردت الخروج ودّعته وقلت: أفدني فقال: بعد ثمانية عشر يا جابر، فقلت: نعم إنّكم بحر لا ينزف ولا يُبلغ قعره، فقال: يا جابر بلّغ شيعتي عنّي السلام وأعلمهم أنّه لا قرابة بيننا وبين الله تعالى، ولا يتقرّب إليه إلاّ بالطاعة له، يا جابر من أطاع الله وأحبنا فهو وليّنا، ومن عصي الله لم ينفعه حُبّنا[١٢٩]، فهذه سننه[١٣٠] كما ترى في القريب والبعيد، والسحيق والنسيب، ما أظنّه حاباً شريفاً لأجل شرفه، ولقد أدّبنا الله فأحسن أدَبَهُ، فقال سبحانه ﴿**و أعرض عن الجاهلين**﴾[١٣١] وما قال إن كان من ولدك لا تعرض عنه. وقال في قصّة نوح ﴿**إنه ليس من أهلك**﴾[١٣٢]، وتلك عادة الله في عباده من أوّل الدهر إلى آخره.

ولقد بلغنا أنّ بعض بنات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فاوضت كاتبه وخازن بيت ماله علي ابن أبي رافع في أن تستعير منه عقداً من بيت المال[١٣٣] تتجمّل به في وليمة، فعلم بذلك أمير المؤمنين عليه السلام فزبره بأنواع الوعيد، وقال لابنته كلاماً من جملته: «أتريدين أن تكونين أوّل هاشميّة قطعت يدها في جناية»، فلم يرخّص في إعارة شيء مردود حتى توعّد بما ذكر». فكيف نسامح[١٣٤] أهل المعاصي على ترك الواجبات، وفعل المقبّحات، وقتل النفوس المعصومة، لولا قلّة التأمّل والإنصاف.

ولقد ألمّ بالمدينة النبويّة على ساكنها السلام رجل ذكر أنّه شريفٌ، وأنّ عمره مائة سنة، فسأله بعضنا عن عدد الفرائض، فلم يأت بالخمس بشيء مستقيم، بل قال: الصبح خمس والظهر سبع والعصر ثلاث. وكذلك مرّ بنا رجلٌ شريفٌ من ناحية العراق تاركٌ للصلاة مستمرٌ في[١٣٥] تركها، فقال له بعض الإخوان: لم لا تصلّي؟ فقال: يكون رسول الله جدّي وأصلّي؟.

وممّا شاع خبره واستفاض أمره، ما جري بمشهد السبط الشهيد عليه السلام من سفك الدم الحرام، وسلب الأموال وهتك الحريم. وكمثل ما جرى على السيّد الجليل العالي المنزلة تاج الدين الآوي وبنيه من سفك دمائهم وتقطيع أعضائهم بسيوف بني عمّهم ظلماً وعدواناً[١٣٦]، واجتراءً على الله ورسوله وآبائه الطاهرين عليهم السلام، فعلى مذهب هذا المولى السيّد يلزم مودّة هؤلاء مع هذه المقالة الشنيعة، والقبائح الفظيعة، فيا للّه وللإسلام هل يذهب إلى هذا القول أحدٌ، وأيّ محادةٍ أعظم من سفك الدم الحرام في الحرم الشريف، وترك الفرائض التي فرّق الله سبحانه بها بين المسلم والكافر بقوله ﷺ: «ليس بين أحدكم وبين الكفر إلا ترك الصلاة»[١٣٧].

ولقد رآني بعض الإخوان، ممن أثق به وأعتقد صلاحه، وأنا مقبلٌ على شخصٍ من هذه العصابة

١٢٦. هود/٤٥.
١٢٧. مضمون الآية ٤٦ من سورة هود «يا نوح إنه ليس من أهلك ...».
١٢٨. الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٦٠.
١٢٩. الشيخ الصدوق: الأمالي، ص ٢٩٦.
١٣٠. خ: سنّته.
١٣١. الأعراف/١٩٩.
١٣٢. هود/٤٦.
١٣٣. لفت إليه: الأمين: أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٤٨.
١٣٤. خ: تسامح.
١٣٥. خ: على.
١٣٦. ترجمته: الأمين: أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٦٢٧، والرواية مختصرة في: الميرزا النوري: خاتمة المستدرك، ج ٢، ص ٢٦٥. والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٤٨. وذكر أنه استشهد عام ٧١١هـ أي أنّ ابن الحسام كان معاصراً لهذا الحادث. وللتنويه: فإنّ السيد تاج الدين الآوي كان من بين رجالات العلامة الحلّي عندما حضروا إليه وأعلن تشيعه.
١٣٧. الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت)، ج ٤، ص ٤٣، حديث رقم ٤٤٦٨.

www.noormags.ir

المشـار إليها بالمودة والتعظيم [١٣٨]، فأشار إليّ أنني سمعت هذا المحدّث لك في يومي هذا، وقد سبّ أمير المؤمنين عليه السلام سبّاً شنيعاً صريحاً فزبرته، فقال: لم لا قتل من نازعنا الأمر وأراحنا من السؤال.

مـن أعجب الأشـياء وأغربها ادعاء السـيد إجماع المفسّـرين علـى أنّ آية المـودة عامّةٌ في ولد الزهـراء عليها السلام، فيلزم [١٣٩] على ذلك مودّة هذا السـاب لأمير المؤمنين عليه السلام، بل لرسـول اللـه صلى الله عليه وآله، بل للّـه. ويلزم إكرام جميع الأشـراف المخالفين من الزيدية، والمعتقدين عدم إمامة علي بن الحسـين زين العابدين عليهما السلام، وفي هذا ما فيه، وفي ذلك نسـخ حكـم الآية ﴿لا تجد قوماً﴾ [١٤٠]، وأيّ محادّة للّـه تعالى أعظم من سبّ أمير المؤمنين عليه السلام، وسفك دماء بنيه لولا قلّة الإنصاف.

وترى يا ليت شـعري لو قمت أنا وهذا السـيد بين يدي رسـول اللـه صلى الله عليه وآله، وتحاكمنا إليه، وقال هذا السـيد المنكِر ما ليس بمنكَر: يا رسـول اللـه: هذا قال شـعراً [و]أمر ولده بإهانة من سرق متاعه وتكرّر منه، ورام الفحشـاء ببعضٍ من يخدمه من فتيانه، ويحذرهم من مودّتهم، وتوسيدهم الحجر وتوطئهـم الأرض. ثم عقب ذلـك لولده بالوصيّة: بخفض جناحه والإحسـان إلـى كل من كان من أهل التقـوى من هذه العصابة، كموهوب (بـن) [١٤١] جعفر وآل تمام ومحمد بن أبي القاسـم ومحمد بن منصور وغيرهم من السـادة الأخيار، منهم الفقهاء والقـراء ذوي الدين والورع والإصلاح والعفة وغير ذلك من المحاسـن. وقلت أنا: يا رسـول اللـه إنّي أتوالى الصالحين من ذرّيتك، وأسـعى في حوائجهم، وأُخلصهم المودة، دون أهل المعاصي والكبائر والفواحش، الذين نهيت عن مودّتهم في محكم ما أنزله [١٤٢] اللـه عليك. أتراه كان يقيم علَي الحد، وهو يعلم صدقي. حاشـاه من ذلك، ما هذه آدابه الذي أدّبه اللـه بها، وهو يقول: ﴿... وأعرض عن الجاهلين﴾ [١٤٣] فلا يخادعنّ أحد نفسـه ويعلّلها بالأماني، فواللـه ما رخّص اللـه لأحدٍ من خلقه في معصيته كائناً من كان، وما أحسن قول المتنبي:

إذا علـويّ لـم يكـن مثـلُ طاهـر ... فمـا هـو إلا حجّـةٌ للنواصب [١٤٤]

وقول آخر:

عليـك بتقـوى اللـه فـي كـلّ حالـة ... ولا تترك التقوى اتكالاً على النسـب

فقـد رفع الإسـلام سـلمان فـارسٍ ... وقد وضع الشرك الشـريف أبا لهبِ

وأمّا ما ذكره السيّد من منام ابن عنين الشاعر، وحكاية الكلب الذي أضافه، وماشاكل هذه التعاليل الواهيـة التـي لا تثمر علماً ولا تجدي نفعاً، فـإنّ الآية المتقدّمة (قد مرّ) [١٤٥] عليها إلا أن يدّعي نسـخها فيكـون خروجاً عن إجماع المسـلمين. ثم متى حكي عن أحدٍ من علمـاء الإمامة أو غيرهم، العمل بالمنامات في شيء من أمور الدين، خصوصاً مثل منام ابن عنين الشاعر، والذي كان ينبغي أن نحكم فيمـن قطع الطريق عليه، وأخذ متاعه ونهب رحله بحكم قوله ﴿إنما جزاء الذين يحاربون اللـه ورسـوله ويسـعون في الأرض فسـاداً...﴾ [١٤٦] إلى آخر الآية، اللـهم إلا أن يقول هذا السـيد إنّ ذلك مختص بغير

١٣٨. من سياق الحديث نلحظ أن ابن الحسام كان يعرف المرتكبين، لا بل التقى بهم. ولعله على معرفة بتاج الدين الآوي كون ابن الحسام تلميذ العلامة الحلي.

١٣٩. خ: فلزم.

١٤٠. المجادلة / ٢٢ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون﴾.

١٤١. لم ترد في خ.

١٤٢. خ: أنزل.

١٤٣. الأعراف / ١٩٩ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.

١٤٤. شرح ديوان المتنبي، ج ١، ص ١٦٧.

١٤٥. غير واضحة في خ.

١٤٦. المائدة / ٣٣ ﴿... فساداً أن يقتّلوا أو يصلبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض وذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

www.noormags.ir

الهاشمي، فيكون ذلك خرقاً لإجماع المسلمين.

وأما الضيف الذي أضافه اليهودي فما كان ينبغي للمسلم إكرامه، وهو من جملة أعداء الله وأعداء رسوله. ولقد روينا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من كان منّا في بلدةٍ وفيها من هو أتقى منه فليس منّا. وقال عليه السلام: القوني بأعمالكم ولا تلقوني بأنسابكم. وقوله لفاطمة عليها السلام: يا بنيّة إنّ أباك لا يغني عنك شيئاً. مع حصول الإجماع على أنه عليه السلام صاحب الشفاعة والحوض واللواء. كل ذلك يحذّر أمّته وأهله من ارتكاب المعاصي. وأن أفضلهم عند الله أتقاهم، ولم يقل أفضلهم من كان من بني فلان، ولا قرابة فلان، والقربى الذين أمر الله بمودّتهم من قرباء رسول الله ـ صلى الله عليه وعليهم ـ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فالأمر بالاقتداء بهم والكون معهم، ولو كانت الآية عامّة في كلّ قرابةٍ لرسول الله ﷺ لكان يلزم على هذه القاعدة أنّ مَنْ لم يصلّ لله ركعة مدّة حياته وأدمن شرب الخمر وتناول المسكرات وفعل المحرّمات وقتل النفس الحرام تكون مودّته علينا واجبة كوجوب مودّة السيد المرتضى والرضي رضي الله عنهما. ومودة من بناحيتنا من السادة الأشراف الصالحين رضي الله عنهم أجمعين، كمودة زين العابدين والباقر والصادق في الوجوب، وإن تفاضلت المودة كما ذكر هذا السيد في أحكام الصوم، وأن فعل بعضه أفضل عن بعض كالخميس والإثنين، فيا ليت شعري أيُّ مناسبة بين هذين الأمرين، والصوم عبادة مأمورٌ بها مرغّبٌ فيها. وهجر أهل المعاصي والقول فيهم ومباينتهم والأمر بإقامة الحدود على مرتكبي القبائح منهم، وقطع الأيدي في السرقة، والقتل والصلب والنفي للمحاربين لله ورسوله، والسعي فساداً في الأرض، إن وقع من أحدٍ ممن ينتمي إلى هذه العصابة وغيرها حكمٌ شرعيٌ وتكليفٌ. جاء في كتاب الله تعالى في آيٍ كثير كقوله سبحانه ﴿لا تجد قوماً﴾ الآية [١٤٧]، وأي سعي في الأرض بالفساد أعظم من سفك دماء المسلمين. فقد بلغني [أنّ] مؤذّن مشهد مولانا أبي عبد الله الحسين بن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليهما ذُبح بالحضرة الشريفة ظلماً وعدواناً، اللهم إلا أن يكون من أوقع شيئاً من هذه الفواحش ممن ينتهي إلى هذه الشجرة المباركة لا يجب عليه إنكار منكر ولا إقامة حدٍ، قد نسب الخالق عزّ وجلّ إلى المحاباة والعمل بالهوى، نعوذ بالله من ذلك.

فأمّا ما ذكره هذا السيد في شعره من حديث الجدار الذي أقامه العالم لحفظ الكنز الذي تحته للغلامين لصلاح أبيهما، فلقد كان كذلك، لكنّه قَتَلَ الغلام الذي كان أبواه مؤمنين لمّا خشي أن يرهقهما طغياناً وكفراً [١٤٨]، وهذه حجّتنا بعينها، إذ لم ينفع الغلام إيمان أبويه والحمد لله وله المنّة.

ولقد أخبرني ثلاثةٌ من صالحي فقهائنا عن رجل من الجماعة أعرفه باسمه ونسبه أنه سأله عن حكم من فجر بأمّ زوجته وأختها وأخيها هل تحرم زوجته أم لا، فقال له الفقيه: ومن يعمل هذا، قال: أنا فعلته. فيا للمسلمين يجب مودة مثل هذا وهو يخبر عن نفسه بمثل هذه الكبائر مختاراً، كما تجب مودّة أهل البيت وإن نقصت في الرّيتبة. ما أبعد هذا القول عن الصواب وإلى الله المشتكى،

١٤٧. الحشر/٢٢، مر ذكرها...
١٤٨. راجع قصة النبي موسى والخضر عليهما السلام في تفسير آيات سورة الكهف، خصوصاً الآيات ٧٧ و ٨٠.

www.noormags.ir

والصادق عليه السلام يقول: لن تنالوا ولا يتنا إلاّ بالورع[١٤٩]. وعنه عليه السلام يعظ أصحابه بما هو مسطور عند الطائفة: لا يقول أحدكم إني أحب عليّاً، والله إنّ محمداً عند الله تعالى خير من عليّ، ولو أنّ رجلاً أحبّ محمداً ثم عصى الله لم ينفعه حبّ محمدٍ، فاتقوا الله اتقوا الله[١٥٠].

وقد حكى الشيخ ورّام بن أبي فراس في كتابه عن عيسى بن مريم عليه السلام قال: تقرّبوا إلى الله تعالى بسبّ أهل المعاصي والأخذ فيهم، وطلب رضى الله تعالى بسخطهم[١٥١]. وهذا عام، فليتّقِ امرءٌ ربه ويترك هذه التعللات الذي يركن إليها من لم يرغب في بذل النفس في طاعة الله تعالى، فقد قيل عنهم عليهم السلام: لن يُنالَ ما عند الله عز وجل إلاّ بنفسٍ جاهدة وعين شاهدة[١٥٢] [و قد قال الله] ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾[١٥٣] ولم يقل من كان من آل فلانٍ فيكفيه ذلك عن العلم والعمل.

ولقد حضر عندي قبل ورود هذه الرسالة المتضمنة إنكار غير المنكر، رجل يطلب شيئاً من الخمس[١٥٤]، فقلت له انسب الأئمة، فقال: ما أعرف شيئاً من هذا الهذيان، أو ما هذا معناه، ما أعرف إلاّ علي بن أبي طالب وأمي فاطمة. فأي إهمالٍ لأمر الدين أفظع من هذه الأحوال، نسأل الله كشف الغفلة والتوفيق للهداية. ولقد كنت أكره كشف عوار أحد من عروض الناس وأطرافهم، فضلاً عمّن ينتمي إلى هذه الشجرة المباركة الطّيبة، ولكن الضرورة ألجأت إلى إقامة الدليل وصحّة العذر إن أنصف المعتذر إليه، ولقد تنصّلت عن الجواب من هذه الرسالة وتثاقلت، فأبي عليّ من طاعته حتمٌ وإجابته غنمٌ، فامتثلت أمره بهذا القدر اليسير، على تعب الخاطر وكدّ الناظر، أسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى، فقد قيل كفى من القلادة ما أحاط بالعنق، وممّا خطر لي من النظم في هذا المعنى عند من أعرف هذه الرسالة أن قلت:

وإني لأهوى المصطفى ووصيّه ... وفاطمة بنت النبي المعظّم
وسبطي رسول الله والتسعة الأولى ... ثوى حبهم ما بين لحمي وأعظمي
هم السادة الأخيار من آل هاشمٍ ... ودادهم فرضٌ على كل مسلمِ
وأهوى من الأشراف من كان سالكاً ... طريقتهم يعزي إليها وينتمي
وأكره من لا خير فيه من الوري ... بنصٍّ من القرآن في ذاك محكم
أمرنا بهجر الفاسقين ومقتهم ... ولو أنهم آباؤنا فافهم افهمِ
أبو لهبٍ قد كان أدنى قرابةٍ ... وتبّت يداه من ثواب وأنعم
ولم يُغنِ عنه ماله يوم حشرهِ ... ولا كسبُهُ لمّا ثوى في جهنّم
فلا يخدعن عاصٍ من الناس نفسه ... فلسنا على أمر من الدين منهم

١٤٩. الشيخ الطوسي: الأمالي، ٢٠/١٤٤١، ص ٦٧٩.
١٥٠. بنفس المعنى: عن الامام ابو جعفر الباقر: الشيخ الطوسي: الأمالي، ١/١٥٣٥، ص ٧٣٥.
١٥١. مجموعة ورام ٢/٢٥: تبحببوا إلى الله تعالى ببغض أهل المعاصي، و تقرّبوا إليه بالتباعد منهم، والتمسوا رضاه بسخطهم و نحوه في ٢/٢٥١.
١٥٢. مجموعة ورام ٢/١٦٧ في حديث.
١٥٣. الكهف / ١١٠.
١٥٤. هذه إشارة إلى مرجعية ابن الحسام كونه فقيهاً مجتهداً يستطيع جمع الخمس و توزيعه...

www.noormags.ir

وهـذه قصيدة في مـدح أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّى لي بمدحه وبلـوغ الغاية فيه وفي فضائله، وهي أكثر وأشهر من أن يحيط بها نظمٌ أو نثرٌ، لكن على سبيل الشرّف نذكره صلوات اللـه عليه، وهي هذه الأبيات:

يـا آيـة الرحمـن في أرضِـهِ ... ويـا دليـل التائـه الحائـر
والعـروة الوثقـى الـذي حقّـه ... فـي عنـق المؤمـن والكافـر
ويـا شـريـك المصطفـى إذ دعـا ... أحـبّ خلـق اللـه فـي الطائـر
ويـا أخـاه دون أصحابـه ... وأهلـه الغائـبِ والحاضـرِ
وناصـر الإسـلام فـي خيبـرٍ ... بسـيفـه أفديـك مـن ناصـرِ
وقالـع البـابُ ومـردي العـدى ... مـن كـلّ طـاغٍ مسـرفٍ[155] فاجـرِ
وموطـئ الأحـزاب أعناقهـم ... وقاتـل الكبـش أخـي عامـر
والبائـت الواقـي نبـيُّ الهـدى ... علـى فـراش الخائـف السـاهـر
والثابـت الجـأش وقـد أدبـروا ... فـي يـوم أحـدٍ كالقطـى النافـرِ
وأنـت دون المصطفـى قائـمٌ ... تحرسـه كالأسـد الخـادر
تـردّ عنـه كلّمـا أقبلـت ... كتيبـةٌ بالصـارم الباتـر
حتـى استـوى في ظهـر ملمومة ... بطلعـةٍ كالقمـر الزاهـرِ
أنـت الـذي قد كنـت لمـا نـزل ... مطهّـر الباطـن والظاهـر
مـا حبّـك اللـه علـى ريبـةٍ ... لا والمليـك العالِـم القـادر
ومطعـم الـزاد علـى حبّـهِ ... ومنعـش المسـكيـن والعاثـرِ
وكلّ علـمٍ فـاض بيـن الـورى ... ممـدّه مـن بحـرك الزاخـرِ
مـن حاز مـا قـد حـزت مـن رتبـةٍ ... قـل لـي مـن الأوّل والآخـرِ
وسـدّ أبوابهـم مـا خـلا ... بابـك أمـر الملـك القاهـر
مناقـبٌ لـو رمـت تعدادهـا ... لتـاه عـن تعدادهـا خاطـر [ي]
يـا حجّـة اللـه علـى خلقـهِ ... ونـوره السـاطـع للناظـر
جائزتـي منـك الّتـي ابتغـي ... شـربـة مـن كفيـك الطاهـر
فلسـتُ أظمـأ بعدهـا إنّهـا ... أوّل أمـن الخائـف الحـاذر

١٥٥. لعل هذا هو الصواب وفي النسخة: شرف.

www.noormags.ir

عادتـــك الجـــود فجـــد لـــي بهـــا ولا تســـمني صفقـــة الخاســـرِ
كرامـــة الزائـــر عنكـــم أتـــت مفروضـــة مـــن تحفـــة الزائـــر
يزوركُـــم قلبـــي وإن لـــم أكـــن مخيّمـــاً فـــي تربـــة الحائـــرِ[١٥٦]

آخر الرسالة الموسومة بكشف اليقين في مودّة المتّقين وشنآن الفاسقين، والحمد للّه ربّ العالمين وصلى اللّه على سيّدنا محمدٍ وآله أجمعين، وتتلوها رسالةٌ لنقضها للسيد مهنّا بن سنان رحمه اللّه تعالى وإيانا بمحمّد النبي وآله.

١٥٦. لا شك أن نظم ابن الحسام هذا، والذي جاء ختما لرسالته، يدل دلالة واضحة على انتمائه وتعلقه بأهل بيت النبوة عليهم السلام، ليس كمحب بل كفقيه شيعي --كما هو مشهور عنه عالم...

www.noormags.ir

٣. في رد السيد مهنا على رد ابن الحسام :

رسالة الإيضاح والتبيين[١٥٧] في الردّ على الرسالة الأولى[١٥٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه مهنّا بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني المدني، عفى الله عنه بفضله وكرمه: الحمد لله الذي هدانا إلى معرفته، وألهمنا القول بالعدل في أقواله وأقضيته، واختصنا باتّباع نبيّه وموالاة الأئمة من عترته، ووفّقنا للعمل بطاعته، ووعدنا الجنّة وهو الصادق في عدته، وذلك بفضله، لا بأعمالنا التي لا تقوم وإن اجتهدنا تمام الاجتهاد لشكر أقلّ نعمته، وأخبرنا رسوله ﷺ بذلك، فقال: ما منكم من أحدٍ ينجيه عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته[١٥٩]، ﷺ ما تحيّز جسمٌ في جهته.

وبعد، وقفتُ على الرسالة التي ألّفها الشيخ العالم الفاضل جمال الدين إبراهيم بن أبي الغيث، نفع الله ببركته، ووسمها "بكشف اليقين في موذّة المتّقين وشنآن الفاسقين" فوجدتها دالة على غزارة علمه[١٦٠]، غير أنه وفّقه الله تعالى لم يخلها من تعصب وعدم إنصافٍ[١٦١]، لأنّ جميع ما أنكره وذكره ـ أحسن الله إليه ـ لم يجر له ذكر في الرسالة الواصلة إليه، ولكنه رمى في غير مرمى، وأنكر على من لم يصدر منه منكرٌ، وبالغ في النزع واستفرغ في ذلك الوسع، فكتبت هذه الرسالة لا للردّ عليه بل لإيضاح الحقّ بين يديه، فهو نفع الله به ممّن إذا وضح له الحق اتّبعهُ، وإذا ظهر له الباطل لم يبق معه. ووسمتُها "برسالة الإيضاح والتبيين[١٦٢] بفضل رب العالمين على عباده المطيعين والمذنبين". وقبل الشروع في الجواب عمّا أسطّره أذكر مقدّمةً توطئيةً للجواب، ليسهل بالوقوف عليها إصابة الصواب، ثم بعد ذلك اتتبّع جميع ما ذكره من الأبواب، وأجيب عنه بعون الله تعالى فصلاً فصلاً من غير إخلال ولا إطناب[١٦٣]. وبالله استعين في كل فعلٍ وخطاب، وأسأله أن يجمع لنا بفضله بين خير الدنيا وحسن المآب. فأقول وبالله التوفيق:

انّ الإيمان في اللغة هو: التصديق، قال الله تعالى ﴿وما أنتَ بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين﴾[١٦٤]، والإيمان عند أكثر الأمّة هو التصديق أيضاً، والإيمان عند الطائفة المحقّة[١٦٥] هو اعتقاد: التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة. هذه الأركان الأربعة شرطٌ في صحّة الإيمان، وما عدا ذلك من فعل الواجبات وترك المحرّمات ليس شرطاً في صحّة الإيمان، وإن كان ذلك من كمال الإيمان. والدليل على ذلك من كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله ﷺ، وإجماع الطائفة. أمّا كتاب الله تعالى ففيه آيات كريمة تدلّ على أنّ الأعمال الصالحة ليست شرطاً في صحّة الإيمان، وفيه آياتٌ كريمةٌ تدلّ على أنّ عمل المعاصي لا ينافي الإيمان[١٦٦].

١٥٧. ورسم الخط من النسخة قريبة من (اليقين)، وهكذا فيما سيأتي.

١٥٨. لعل هناك أكثر من رسالة ورد، ولكن هذا ما وجدناه في مجموع السيد العيناثي.

١٥٩. الامام أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٢، ص٢٣٥. ومسلم النيسابوري: صحيح مسلم، ج٨، ص١٤٠.

١٦٠. دلالة على ما تقدم من قولنا بأن: فقيهين كبيرين يعرف الواحد منهم الآخر يقر له بالعلم وغزارته مع ابداء كل الاحترام.

١٦١. وهذا رأي في خطم المناظرة التي لا بد أنها ستفطي إلى الإفادة والطريق المستقيم...

١٦٢. كسابقتها تشبه (اليقين) لا (التبيين).

١٦٣. لاحظ التقسيم المنهجي (مقدمة وأبواب وفصول) ولكننا لم نلحظ هذا التطبيق في سياق المخطوط.

١٦٤. يوسف/ ١٧.

١٦٥. يريد: الشيعة الإمامية.

١٦٦. يدخل هنا السيد مهنّا بن سنان في جدلية فقهية غاية في الدقة والموقف.

www.noormags.ir

أمّا الآيات الكريمة التي تدلّ على أنّ الأعمال الصالحة ليست شرطاً في صحّة الإيمان فكقوله تعالى ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[١٦٧]، فدلّت هذه الآية الكريمة على أن الإيمان غير عمل الصالحات، وكذلك قوله تعالى ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير﴾[١٦٨]، وكذلك قوله تعالى ﴿يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط﴾[١٦٩]، وغير ذلك من الآيات الكريمة.

وأمّا الآيات الكريمة التي تدلّ على عدم المنافاة بين الإيمان وعمل المعاصي، فقوله تعالى في أهل بدر وهم خير عصابة على وجه الأرض يومئذٍ ﴿كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحقّ وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون، يجادلونك في الحقّ بعد ما تبيّن﴾[١٧٠]، فأثبت الله تعالى لهم الإيمان مع ما حكى عنهم في الآية الكريمة. وكذلك قوله تعالى في حقّ أبي لبابة رضي الله عنه[١٧١]، وقصّته مشهورة في كتب السِيَر ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[١٧٢]، فأثبت الله تعالى له الإيمان مع ما فعله من خيانة الرسول صلى الله عليه وآله حين أرسله إلى بني قريظة. وكذلك قوله تعالى في حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه، لمّا كاتب المشركين عام الفتح بأنّ سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقصدهم ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة﴾[١٧٣]، فأثبت الله تعالى له الإيمان مع إفشائه سرَّ سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكاتبته للمشركين بذلك. وكذلك قوله تعالى ﴿يا أيّها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم القصاص في القتلى﴾[١٧٤]، ثم قال بعد ذلك ﴿فمن عُفِيَ له من أخيه شيءٌ فاتّباعٌ بالمعروف﴾[١٧٥]، ثم قال سبحانه ﴿ذلك تخفيفٌ من ربّكم ورحمة﴾[١٧٦] فسمّى الله سبحانه القاتل في أوّل هذه الآية الكريمة مؤمناً، وفي وسطها أخاً، ولم يويئسه من التخفيف والرحمة في آخرها. ثم قال تعالى لجميع المؤمنين من أهل الكبائر وغيرهم: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيّها المؤمنون لعلّكم تفلحون﴾[١٧٧]، فسمّاهم الله تعالى كلّهم باسم واحد وهو الإيمان، ثمّ شهد الله تعالى والملائكة وأولوا العلم أنّ الدين واحد، فقال سبحانه ﴿شهدَ الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام...﴾[١٧٨]، وكذلك قوله تعالى ﴿وإذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم كتب ربّكم على نفسه الرّحمةَ أنّه مَن عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفورٌ رحيم﴾[١٧٩]، فأثبت الله سبحانه الإيمان للجميع، لمن لم يعمل سوءاً، ولمن عمل في أوّل الآية الكريمة، ثم سلّم على الجميع في أثنائها، ثم وعد الجميع بالرحمة في آخرها، فسبحان الحليم الكريم. فهلاّ يقتدي العاقل بمخاطبة مالك الملك لعباده، فما أحسن هذه المخاطبة وألذّها في الأسماع، وأدعاها للكافر إلى الإسلام، وللمسلم إلى الإيمان، وللمؤمن إلى الإخلاص، وللعاصي إلى التوبة، وللتّائب إلى العمل، وكذلك قوله تعالى ﴿إنّما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾[١٨٠]، وأجمع العلماء من عند آخرهم أن كلّ من تاب قبل الغرغرة[١٨١] فهو داخلٌ تحت حكم هذه الآية الكريمة. وعن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: تُقبل توبة العبد ما لم يغرغر[١٨٢]. والآية الكريمة بنفسها تدلّ على ذلك لقوله تعالى ﴿وليست التوبة للّذين يعملون السّيئات حتّى إذا حضر أحدهم الموتُ قال إنّي تبتُ الآن﴾[١٨٣]، فهذا بعض ما ورد في كتاب الله تعالى.

١٦٧. البقرة / ٢٧٧.
١٦٨. الحج / ٧٧.
١٦٩. النساء / ١٣٥.
١٧٠. الأنفال / ٥ و ٦.
١٧١. الشيخ الطبرسي: مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٥٥ (في تفسير الآية الثالثة).
١٧٢. الأنفال / ٢٧.
١٧٣. الممتحنة / ١. وراجع: الطبرسي: مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٤٢.
١٧٤. البقرة / ١٧٨.
١٧٥. نفس الآية السابقة.
١٧٦. نفس الآية السابقة.
١٧٧. النور / ٣١.
١٧٨. آل عمران / ١٨ و ١٩.
١٧٩. الأنعام / ٥٤.
١٨٠. النساء / ١٧. وبنفس السياق. النحل / ١١٩.
١٨١. الغرغرة: الروح تردد في الحلق عند الموت. كما يتغرغر الدواء في الحلق.
١٨٢. الميرزا النوري: مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ١٣٤.

www.noormags.ir

وأما ما ورد في سنّة سيّدنا رسول الله ﷺ ممّا اتّفق على نقله المؤالف والمخالف، عن أبي ذرٍ رضي الله عنه، عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: ما من عبدٍ قال لا إله إلاّ الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنّة، قلت وإن زنا وإن سرق، قال: وإن زنا وإن سرق، قلت: وإن زنا وإن سرق، قال: وإن زنا وإن سرق، قلت وإن زنا وإن سرق قال وإن زنا وإن سرق، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذرّ، قال: فخرج أبو ذرٍ رضي الله عنه وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذرٍ [184]. وما روي عنه أيضاً ﷺ أنّه: قيل يا رسول الله: المؤمن يزني، قال: نعم، قيل يا رسول الله، المؤمن يسرق: قال: نعم، قيل يا رسول الله المؤمن يكذب، فقال: لا، الكذب مجانب الإيمان [185]. فهذا بعض ما ورد في السّنة.

وأمّا إجماع الطائفة، فلا يحتاج فيه إلى إقامة دليل لأنّ من خالطهم عرف ذلك من مذهبهم، وكتب أصولهم مملوءة بذلك.

فإذا ثبت هذا فنقول: إنّ المؤمن الفاسق يجب علينا مودته ومدحه لإيمانه، ونقطع على أنّه من أهل الجنة والثواب. أما على مذهب السيّد المرتضى ومن تبعه، على أن الإيمان لا يتعقّبه كفرٌ، أو بشرط الموافاة عند من يجوّز الكفر ـ نعوذ بالله منه ـ بعد الإيمان، ويجب علينا بغضه وذمّه لفسقه، ولا نقطع بدخوله النار ـ نعوذ بالله منها ـ إلا بشروطٍ؛ وهو الموت على غير توبة، وعدم عفو الله تعالى عنه، وعدم شفاعة سيدنا رسول الله ﷺ فيه ـ نعوذ بالله من ذلك ـ ثم آخر أمره إلى الجنّة، نسأل الله الجنّة بفضله [186].

وقد روي عن مولانا الحسين بن علي عليه السلام أنه ذُكر عنده رجل فقالوا: لا خير فيه، فقال الحسين عليه السلام: من ورائه ثلاثة أشياء لا يهلك عليها إلا هالكٌ شهادة أن لا إله إلاّ الله، ورحمة الله، وشفاعة رسول الله ﷺ [187]. ولله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، وإذا تقرّرت هذه المقدمة بحمد الله تعالى ومنّه، فلنشرع الآن بحول الله وقوّته في إيراد ما سطّره الشيخ العالم جمال الدين نفع الله ببركته [188] فصلاً فصلاً، وفي الجواب عنه.

أمّا ما ذكره ـ متّع الله بحياته ـ أنّ أبياته التي تضمنت إهانة كلّ وارد عليهم من الأشراف والاستخفاف بحقه وعدم الاكتراث بدعائه من غير اعتبار بحاله، إنما صدرت منه على جهة المزح والدعابة، فإن المزح لا يجوز بذم المسلم وإهانته وتحقير أمره وتصغير شأنه، ولم يبح المزح على هذا الوجه أحدٌ من العلماء رضوان الله عليهم، واستشهاده في هذا المقام بما رواه عن سيدنا رسول الله ﷺ أنّه قال: أمجنُ ولا أقول إلا الحقّ. فأوّل ما في هذه الرواية أنها لم ترد بلفظ المجن، بل ما وردت إلاّ بلفظ المزح، فإنّه رُوي عنه ﷺ أنه قال: إنّي أمزح ولا أقول إلاّ حقّاً [189]. وحاشاه ﷺ من المجانة، فإن المجانة خلاعةٌ، والمزح شيء غير المجن. والثاني أنه ﷺ لا يقول إلاّ الحقّ، فإن كان هجاء المسلم والاستهانة به والتحقير لشأنه حقّاً، فإنّه يجوز الاستشهاد عليه بالرواية، وإن كان ذلك ليس بحق، فكيف يجوز الاستشهاد عليه بمزحه ﷺ. ومولانا أعلى مرتبةً وأغزر علماً [190] من أن يستشهد على

١٨٣. النساء/١٨.
١٨٤. البخاري: صحيح البخاري، ج٧، ص ٤٤. ولاحظ تعليق السيد عبد الحسين شرف الدين: الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص ٢٧.
١٨٥. ذكرت بغير هذه الصيغة في: قطب الدين الراوندي: الدعوات، ص ١١٨. وذكرها الشيخ الصدوق: علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٨.
١٨٦. هذا رأي السيد مهنّا والدعاء.
١٨٧. نحوه عن الصادق عليه السلام في الكافي، ج ٣، ص ٢٠٤: ٧، وثواب الأعمال ١٩٨، ومن لا يحضره الفقيه ١/١٧٤: ٥٠٨، وتهذيب الأحكام ١/٤٦٨: ١٤٣٧.
١٨٨. هذا ديدن السيد مهنا في مدح ابن الحسام كونه زميله ويعرفه حق المعرفة.
١٨٩. مناقب الكوفي، ج ١، ص ١١٣، والصمت، ص ٢٠٩، والمعجم الأوسط، ج ١، ص ٢٩٨، وج ٧، ص ٣٢ و ٢١٩، والصغير، ج ٢، ص ٧، و الكبير، ج ١٢، ص ٢٩٩ وغيرها.

www.noormags.ir

ما تضمّنته أبياته بمزح سيّدنا رسول الله ﷺ، الذي لا يقول إلا الحق ولا ينطق عن الهوى[١٩١] ﷺ، بل لا يجوز المماثلة بينهما بحالٍ من الأحوال.

أما ما ذكره ـ أحسن الله إليه ـ من أنّ الإنكار عليه [كان] بمجرّد الدعوى والبهت فهذا الكلام هو البهت بعينه، فإنّ البهت أن يقول الإنسان عن غيره ما لم يقله ولم يفعله، ولم يُذكَرْ عن الشيخ ـ نفع الله به ـ إلا ما نطق به لسانه وسطّرته يده، وشاعت به أبياته[١٩٢]، فأين البهت لولا البهت.

وأمّا قوله ـ متّع الله بحياته ـ أن من شرط الإنكار ظهور الاستمرار، فهذا صحيح، ويكفي في ذلك غلبة الظن بالاستمرار، والأبيات المذكورة ظاهرها الاستمرار لأنّها وصيّة.

وأمّا قوله ـ أحسن الله إليه ـ عن الآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾[١٩٣] ولم يستثن شريفاً ولا غيره، فهذه بشاعة محضة، لأن أحداً لم يبح للشريف المعاصي، ولم يقل أنّه لا يقام عليه الحدود. والكلام في الرسالة الأولى إن كان يتضمن رفع الحدّ عن الشريف أو إباحة المعاصي له، فالردّ في ذلك متوجّه، والإنكار صحيح، وإن لم يكن يتضمن شيئاً من ذلك. فما بال المؤمن لا ينصف في بحثه، وغاية ما في الرسالة الأولى[١٩٤] أنّه ينبغي إكرام الأشراف على ما بهم من العوج، ولم أتعرّض لآحاد من صدر منه ما يوجب الحدّ، ولم أقل أنّه لا يؤخذ منه الحقّ ولا يقام عليه الحدّ. فأيّ إنكارٍ يقع في هذا، ولو كنّا لا نودّ ولا نكرم إلا من لا عوج فيه لما وجدناه أصلاً، إلا أن يكون من المعصومين عليهم السلام. ولا يغترّ أحدٌ بعمله[١٩٥] ويدل على ربّه، فوالله لو فتّش الإنسان نفسه على حقيقةٍ لوجد نفسه غارقةً في بحار الذنوب التي لا تُحصى كثرةً، مثل الرياء والتصنّع لمن يراهُ، والحسد للمسلمين، والتهمة لهم، وسوء الظنّ بهم، والغشّ والغيبة والنميمة والتفكّه بالأخذ في أعراض المسلمين، والنظر إليهم بعين الإزدراء لأنّه قد صار أرفع درجة منهم عند الله تعالى بزعمه لما يتخيّله في نفسه. وهذا مقام الجاهل بنفسه، الغافل عنها وعن عظمة الله تعالى، لأنّه إذا راء[١٩٦] نفسه، وأنّه قد تنزّه عمّا يقع فيه عوام المسلمين من الزنا واللواط وشرب الخمر ظنّ أنّه قد وصل ولم يبق فوقه مرتبة يرومها، وما يعلم أنه قد وقع فيما هو أعظم ممّا ترك، لأنّ تلك الذنوب بين العبد وبين ربّه، وهذه أكثرها بينه وبين العباد، وقد صحّ عن أهل البيت عليهم السلام أنّهم قالوا: الذنوب ثلاثة: ذنبٌ لا يغفر، وذنب لا يترك، وذنب لله فيه المشيئة، إن شاء غفر وإن شاء عذّب، فأما الذنب الذي لا يغفر؛ فالشرك بالله، وأما الذنب الذي لا يترك فمظالم العباد، وأمّا الذنب الذي لله فيه المشيئة فالذنب الذي بين العبد وبين ربّه[١٩٧]. فلو قاس المسكين أعماله الصالحة لوجدها غير خالصة، بل مشوبة مكدّرة بأشياء يطول شرحها، يعرفها من وفّقه الله تعالى لمحاسبة نفسه، فمنها ما يقتضي نقص أعماله، ومنها ما يقتضي بطلانها، فسبحان الحليم الستّار. ولو سلّمنا أنّه خلص من هذه الأشياء جميعها، وهذا ممّا يتعذّر على غير المعصوم، لكان عجبُهُ بنفسه وبأعماله أعظم عند الله تعالى خطيئةً من معصية العاصي المعترف لله سبحانه بذنوبه وتقصيره، الناظر إلى نفسه بعين الازدراء.

١٩٠. لاحظ ديمومة المدح لابن الحسام، والاعتراف له بغزارة العلم وعلو مرتبته فيه.

١٩١. مضمون الآيات ٣ و ٤ من سورة النجم في القرآن الكريم.

١٩٢. لعل شيوع أبيات ابن الحسام، وهو معروف كشاعر وأديب تماماً كما هو معروف كفقيه وعالم متكلم.. جعل من السيد مهنا أن يتحدث عنه أو بالأحرى معه بهذه الصفات، وهذا ما ذهبنا إليه في المدخل إلى التحقيق.

١٩٣. المائدة/ ٣٨.

١٩٤. سبق الاشارة إلى تعدد الرسائل بين الفقيهين.

١٩٥. في النسخة: «بغير أحد نعمه». دون نقطة للنون.

١٩٦. راء: رياء. يرى نفسه بالخير والصلاح على خلاف ما هو عليه. وفي النسخة: رأى.

١٩٧. الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٤٢٣.

www.noormags.ir

فقد روي عن سيدنا رسول الله ﷺ أنّه قال: لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك، العجب العجب[١٩٨]. فما ظنّك بذنب جعل سيدنا رسول الله ﷺ ارتكاب الذنوب خيراً منه. وعنه ﷺ أنّه قال: النادم ينتظر الرحمة، والمعجب ينتظر المقت. فكيف يكون حال من ينتظر المقت من الله بالنسبة إلى من ينتظر الرحمة منه سبحانه.

وأمّا ما ذكره ـ نفع الله به ـ من واقعة الذي ذكر أنّه شريفٌ، وأنّه أخذ دثاره وسرى به، فهذا لا يجب عليه القطع[١٩٩] بإجماع الطائفة، لأن الشيخ ـ حرسه الله تعالى ـ سلم إليه الدثار ولم ينم في بيته بل نام في البر، وخان فيما سلّم إليه وذهب به ولم يهتك حرزاً، فأيّ قطع يجب على هذا، ولو فرضنا أنّه نام في بيت الشيخ، ولم يسلّم الشيخ إليه اللّحاف، بل أخذه من البيت وسرى به، لم يجب عليه قطع، لأنّه ضيفٌ، والضيف إذا لم يحرز الشيء من دونه لا يجب عليه القطع، بل للأصحاب قولٌ: إن الضيف لا يقطع سواء أحرز المتاع من دونه أو لم يحرز.

وأمّا ما ذكره عن الذي ذكر أنه شريفٌ قد نيف على السبعين، وأنّه أراد الفاحشة بالغلام، فهذا أمرٌ لا يجوز القطع به على المذكور بمجرّد قول الغلام، ولا يجب ذمه والبراءة منه بمجرّد هذه الدعوى، بل الذي يقتضيه حكم الشرع المطهّر أن الغلام إن كان مكلّفاً وصرّح بقذف المذكور وجب عليه الحد، وإن كان عرّض بذلك وجب عليه التعزير.

وأمّا ما ذكره عن الآية الكريمة في مودّة ذوي القربى، وإن الدعوى في اشتمالها على ولد فاطمة عليها السلام، دعوى محضة عريّة من البرهان، فليس الأمر كما ذكر نفع الله به، بل ذكر الموافق والمفارق أنها عامة في ولد علي وفاطمة عليهما السلام، بخلاف آية التطهير، فإنّها خاصة، وذلك ما رواه الشيخ ابن البطريق الأسدي[٢٠٠] في كتاب العمدة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لمّا نزلت ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾[٢٠١]، قالوا يا رسول الله: من هؤلاء الّذين يأمرنا الله بمودّتهم، قال: عليّ وفاطمة وأولادهما[٢٠٢]. وكذلك روى الواحدي في التفسير[٢٠٣] وغيره، وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي في الأمالي عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا، تلاقوا بوجوه مستبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، فغضب النبيّ ﷺ ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّكم لله ولرسوله، والعبّاس رضي الله عنه لم يكن من المعصومين، ولا من أولادٍ عليّ وفاطمة عليهما السلام[٢٠٤]، فدخول أولاد علي وفاطمة تحت هذا الحديث بطريق الأولوية. ويكفي في هذا الباب كلام الشيخ العلاّمة جمال الدين بن المطهّر ـ قدس الله روحه، وقوله حجةٌ في المعقول والمنقول، فإنّه قال في كتاب القواعد في الوصية لولده[٢٠٥] حرسه الله تعالى: عليك بصلة الذريّة العلويّة فإنّ الله تعالى قد أكّد الوصية بهم، وجعل مودّتهم أجر الرسالة والإرشاد، فقال تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾[٢٠٦]، ثم ذكر أشياء من هذا الباب، ومن أراد الوقوف عليها فليطالع كتابه المذكور. فعلى قول سيّدنا حرسه الله

١٩٨. فردوس الأخبار، ج ٣، ص ٣٧١؛ و٥١٢٦ و شعب الإيمان، ج ٩، ص ٣٩٩؛ ٦٨٦٨ و الحاوي للسيوطي ٢٢٣/٢، و تصحف في المطبوع من شعب الإيمان (لخفت) إلى (خشيت) كما يدل عليه نقل السيوطي و غيره عنه.

١٩٩. القطع: إبانة أجزاء الجرم عن بعض فصلا، لسان العرب، ج ٢٨، مادة: قطع.

٢٠٠. ترجمته: الأمين: أعيان الشيعة، ج ١، ص ٢٨٩.

٢٠١. الشورى/ ٢٣.

٢٠٢. ابن البطريق الحلي، العمدة، ص ٤٧.

٢٠٣. الواحدي: تفسير الواحدي، ج ٢، ص ٩٦٥.

٢٠٤. الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٤٨.

٢٠٥. العلامة الحلي، قواعد الأحكام، ج ٣، ص ٧١٥.

www.noormags.ir

تكون وصيّة الشيخ رحمه الله لابنه عبثاً. لأنّ الآية مختصّة بالمعصومين عند سيّدنا فلا فائدة حينئذٍ في كلامه ووصيّته لإبنه، والشيخ قدّس الله روحه كان يتغالى في محبّة الأشراف ويعظّمهم، وأفعاله وأقواله تشهد بذلك، وسيّدنا أحسن الله إليه أوصى إبنه بضدّ وصيّة الشيخ جمال الدين رحمه الله لابنه [٢٠٧]، فنسأل الله أن يعمّر قلوبنا بمحبة الحق وأهله.

وأمّا استشهاده ـ متع الله بجنابه ـ بالآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله﴾ [٢٠٨] الآية، فهذه الآية مختصة بأهل الشرك، ولا نسلّم أنّ المقرّ لله سبحانه بالوحدانية، ولنبيّه بالرسالة، ولأئمة الهدى بالإمامة، يكون ممّن حادّ الله ورسوله إذا وقعت منه معصية أو زلّة، ما قال هذا أحدٌ من العلماء لابنه ألاّ من لا يعبأ بقوله، والإجماع منعقد على خلافهم، فإنّ الآية الكريمة تتضمّن النهي عن مودّتهم على الإطلاق، والمؤمن العاصي نودّه من جهة إيمانه، ونبغضه من جهة عصيانه، بل نحبّه ونوده على الإطلاق لذاته، ولا نبغضه بل نبغض أعماله، فإذا تركها رجع إلى ما كان عليه من المحبّة، فكيف يكون داخلاً تحت حكم هذه الآية الكريمة. وفي الحديث عن سيّدنا رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّ الله يحب العبد ويبغض عمله، ويبغض العبد ويحبّ عمله [٢٠٩].

وأمّا قوله تعالى ﴿والزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما مائة جلدة﴾ [٢١٠]، فمن لا يعتقد العمل بهذه الآية الكريمة ما يكون مسلماً، لأنّه يكون جاحداً لما علم من الدين بالضرورة، فسبحان الله يا مسلم يا مؤمن، متى رأيت الكلام الواصل إليك في الرسالة يتضمّن إسقاط الحدود عن الأشراف، هل هذا إلاّ مجرّد تشنيع.

وأمّا قول سيّدنا نفع الله ببركته: «إنّ شنآن الفاسقين واجبٌ، وإن الله سبحانه ورسوله لم يرخّصا لأحدٍ في معصيةٍ»، فهذا اعتقاد كلّ مسلم. ومن الذي رخّص للأشراف في المعاصي بقولٍ أو فعل، نعوذ بالله أن يقول الإنسان عن غيره ما لم يقله.

وأمّا ما ذكره ـ أحسن الله إليه ـ من زجر سيّدنا رسول الله ﷺ بني هاشم وبني عبد المطّلب عن المعاصي، وكذلك ما نقله عن الباقر وعن الكاظم عليهما السلام في كتاب الأمالي وكلّه مسلّم وغير ممنوعٍ، ولكن هل رأيت لأحدٍ خطاً، أو سمعت منه أو عنه قولاً، بإباحة المعاصي للأشراف، والترخيص لهم في شيء من ذلك، بل ما برحنا نقول ظاهراً وباطناً لكلّ من نعرفه ويجلس إلينا ويسمع منّا ما روي عن بعض الأئمّة عليهم السلام، أنّه قال لبعض مواليه: يا هذا الحسن من كلّ أحدٍ حسنٌ ومنكم أحسن، والقبيح من كل أحدٍ قبيحٌ ومنكم أقبح لانتسابكم إلينا. ولم ينقم الشيخ علينا إلاّ كوننا جوّزنا مودّة الشريف المؤمن لإيمانه، وبغض أعماله إذا كانت غير صالحةٍ، فمنع الشيخ ـ حرسه الله ـ من مودّتهم على الإطلاق، وحرّم برهم وصلتهم، وأوجب إهانتهم والبراءة منهم بمجرّد الأراجيف في حقهم، أو بزلّةٍ تصدر من بعضهم، أو ممّن ينتسب إليهم، وليس منهم، وزعم أنّ الوصلة بين

٢٠٦. الشورى / ٢٣. تأكيداً على ما ذكرنا أعلاه فإن السيد مهنا يريد أن يلقي الحجة على الشيخ ابراهيم بموقف لأستاذهم العلامة لم يأخذ به ولم يقتدي به..
٢٠٨. المجادلة / ٢٢.
٢٠٩. الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٤١١.
٢١٠. النور / ٢.

www.noormags.ir

سيّدنا رسول الله ﷺ، وبين الشريف إذا زلّ زلّةً أو فعل معصيةً قد انقطعت. وقد روي عن سيّدنا رسول الله ﷺ، ونقل عنه نقلاً مشهوراً أنّه قال: كلّ نسبٍ وسببٍ يوم القيمة القيامة ينقطع إلاّ نسبي وسببي[٢١١]. وهذه الرواية بعينها قالها عمر على رؤوس الأشهاد لمّا تزوّج بإبنة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وقال ما قصدي الباه، ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول وذكر الرواية[٢١٢]. وفي كتاب الأمالي[٢١٣] عن عليّ بن موسى الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ كل بني أنثى، فإنّ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة عليها السلام، فإنّي أنا عصبتهم وأنا أبوهم[٢١٤]. وروى سليم بن قيس في كتابه[٢١٥] ورواه غيره عن رسول الله ﷺ أنّه قال: أيها الناس ترجوا شفاعتي كل الناس، فتعجز شفاعتي عن أهل بيتي، ما أحدٌ ولده جدّي عبد المطلب يلقى الله موحّداً لا يشرك به شيئاً إلاّ أدخله الله الجنّة، وإن لقيه من الذنوب بمثل الأرض، إنّي لو قد أخذت بحلقة باب الجنّة، ثمّ تجلّى لي ربّي فسجدتُ له، وأذن لي بالشفاعة لم أؤثر على أهل بيتي أحداً[٢١٦]. والمراد بأهل البيت ها هنا غير المعصومين، لأنّ المعصومين منزّهون عن المعاصي، بل هم ممّن يشفع بالعاصي. وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي في الأمالي عن أبي عبيدة الحذّاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ، قال الله عز وجلّ: لا يتّكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي، كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي، فما تطلبون من كرامتي والتنعّم في جناني، ورفيع الدرجات العلا في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظنّ بي فلتطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم، وبمنّي ابلّغهم رضواني وألبسهم عفوي، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسمّيت[٢١٧]. وفي الكتاب المذكور عن سيّدنا رسول الله ﷺ أنه قال: لا يموتنّ أحدكم حتى يحسن ظنّه بالله عزّ وجل، فإن حسن الظنّ بالله ثمن الجنّة[٢١٨].

وأما ما ذكره ـ متّع الله بحياته ـ عن إبنة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأنّها فاوضت خازن بيت ماله في استعارة عقدٍ من بيت المال، فهذه الرواية ممنوعةٌ غير مسلّمةٍ، وفي الرواية نفسها ما يدلّ على عدم صحّتها، لأنّها تضمّنت أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام [تـ]وعّد ابنته بالقطع ولو وقع منها استعارة العقد، لم يكن ذلك يوجب قطعاً، فكيف يتوعّد عليه السلام بعقوبة في غير موضعها حاشاه من ذلك، وكيف يصدر منه ذلك وهو عندنا أعلم من عمر بن الخطاب، وقد كتب عمر إلى بعض عماله: إياك أن تتوعّد على ذنبٍ بأكثر من عقوبته، فإنّك إن فعلت أثمت، وإن لم تفعل كذبت[٢١٩].

وأمّا ما ذكره ـ دامت نعمته ـ عن جماعةٍ ممن تنتسب إلى الأشراف من الجهل وترك الواجبات وفعل المحظورات، فهذا شيءٌ لا أمنعه إذا ثبت، ولا يرد عليّ في ذلك إنكارٌ، لأنّي لم أقل بعصمة الأشراف، ولا بأنهم علماء فقهاء، ولا بأنّ ما يصدر عنهم من القبائح لا يجوز الإنكار عليهم فيه، حتّى يشنّع عليّ بهذه الشناعة، وأنسبَ[٢٢٠] إليّ أنّي أقول بنسخ الشرائع في حق الأشراف، لا إله إلاّ الله، ما هذا إلاّ بهتٌ عظيمٌ، نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، وألاّ

٢١١. الحر العاملي: الوسائل، ج ٤، ص ١٢٢٢، مج ٧، ص ٢٠٧. والحديث له طرق كثيرة عند أهل السنة و هو معارض للقرآن و الأدلّة الواضحة العقلية و النقلية.

٢١٢. محمد الزرندي الحنفي: نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، ص ٢٣١-٢٣٤، و لقد نفى الكثير هذه القصة قديماً و حديثاً.

٢١٣.

٢١٤. السيد المرعشي: إحقاق الحق، ج ١٨، ص ٣٣٤.

٢١٥.

٢١٦. بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٣١٣، و ج ٣٦، ص ٢٩٥، و و الفضائل لشاذان، ص ١٣٥ و كتاب سليم ٢٣٧ و ٢٢٧ مع مغايرات.

٢١٧. الشيخ الطوسي: الأمالي، ص ١٦٧، و الشيخ الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٦١.

٢١٨. الشيخ الطوسي: الأمالي، ص ٣٧٩.

٢١٩. رواه بصيغة قريبة: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٩٦. عن أبي بكر لما ولى عكرمة بن ابي جهل على عمان.

www.noormags.ir

يجعلنا ممّن إذا غضب أخرجه غضبهُ إلى غير الطريق، لكن الذي أقوله وأعتقدهُ وألقى الله تعالى به ورسوله وأهل بيته عليهم السلام: إنّ الشريف بل غيره من سائر المؤمنين، لا نهجرهُ ولا نبغضهُ ولا نتبرّأ منه بمجرّد الأراجيف والشناعات، لأنّ النقل في هذا العصر قد صار أكثرهُ باطلاً، بل يُحملَ أمره وحاله وحال كلّ مؤمن على أحسن الوجوه، ونقيم له أحسن الأعذار ما لم يثبت عليه ما لا يمكن توجيهه على وجهٍ حسن، فإذا ثبت ذلك عليه فإن كان حقّا لله تعالى وتمكّنا من إقامة الحد عليه أقمناه عليه، ولا نتبرّأ منه على الإطلاق، ولا نأمر بإهانته وإهانة كلّ شريف على الإطلاق، وإن كان الحق الذي ثبت عليه من حقوق الآدميين، فالأولى لصاحب الحقّ تركه والعفو عنه إكراماً لمن ينتسب إليه، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إذا كان يوم القيمة نادى منادٍ: أيّها الخلائق انصتوا فإنّ محمداً يتكلّم، فينصت الخلائق، فيقوم النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق من كانت له عندي يدٌ أو منةٌ أو معروفٌ فليقم حتّى أكافئه، فيقولون: بآبائنا وأمهاتنا؛ وأيّ يدٍ وأيّ منّةٍ وأيّ معروفٍ لنا، بل اليد والمنّة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق، فيقول: بلى من آوى أحداً من أهل بيتي، أو برّهم أو كساهم من عري، أو أشبع جائعهم، فليقم حتّى أكافيه، فيقوم أناسٌ قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من قبل الله تعالى: يا محمد يا حبيبي قد جعلت مكافأتهم إليك فأسكنهم من الجنّة حيث شئت، فيسكنهم في الوسيلة[٢٢١] حتى لا يحجبون عن محمد وأهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم). وهذه الرواية بعينها ذكرها الشيخ جمال الدين بن مطهّر قدّس الله روحه في وصيّته لابنه في كتاب القواعد[٢٢٢]، وقد اجتمع مسطَرها[٢٢٣] بالشيخ جمال الدين بن مطهر قدّس الله روحه، فرأى منه من تعظيم الأشراف ما يوافق وصيّته لابنه، ويزيد عليها، وجوابه لمسطّرها في المسائل التي سأله عنها ومكاتباته في ذلك يدل على ذلك، وهي موجودة حاضرة عند مسطّرها بخطّ الشيخ رحمه الله و(قدّس روحه)[٢٢٤]. وقد كان بعض فقهاء الجمهور ومشايخهم يقول: أنّ الذريّة الفاطميّة عندي كلهم كالكتاب العزيز، يجب إكرامهم واحترامهم ورفعهم على الرؤوس، والصالح منهم كالآية المحكمة تحكم على الرؤوس وتُعمل بها ويُقتدى بها، والذي لا يكون صالحاً منهم كالآية المنسوخة يكرم ويحمل على الرؤوس ولا يتّبع ويُقتدى به[٢٢٥]. وقد صار في عصرنا هذا جمٌ كبيرٌ يُنسبون إلى الأشراف وليسوا بأشراف، ويفعلون أفعالاً غير مرضيةٍ ويتجاهرون بها، ونسبتها الناس إلى الأشراف، ولكن ما هذا بأوّل ما جرى عليهم من الحوادث.

ما ذي بأوّل مطرةٍ ... مُطِرت على ذئب الفلا

وأمّا ما ذكره ـ نفع الله به ـ من الإنكار في إيراد المنام، فإنّ ذلك غير منكر، ولم نورده لأنه حجّةٌ قاطعةٌ يجب العمل بها والتعويل عليها، ولكنّه ممّا يورد في المحاضرات والمذاكرات، مع أنّ الكتاب العزيز قد نطق بالمنامات وترتبت الأشياء عليها، فإنّ يوسف ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ كان سبب كيد إخوته له رؤياه التي رآها، وكان سبب خروجه من السجن رؤيا الملك[٢٢٦]. وقد ورد في الحديث

٢٢٠. في النسخة: و انتسب.
٢٢١. الوسيلة: درجة النبي محمد صلى الله عليه وآله في الجنة.
٢٢٢. العلامة الحلي، قواعد الأحكام، ج ١، ص ١٥٣ و ج ٣، ص ٧١٦.
٢٢٣. لا شك أن ابن سنان هو من كبار تلامذة العلامة الحلي والمقربين منه وهو المشهور بينهم بمسائله مع العلامة كما ذكرنا آنفاً.
٢٢٤. هذه المسائل مشهورة فعلاً والمعروفة بالمسائل المهنائية، لكن تجدر الاشارة إلى أن السيد مهنا ما فتئ يذكر ويكرر على الشيخ ابن الحسام حجته باستاذهم العلامة، إلى أن يذكره هنا على ما يبدو بأن المسائل والأجوبة المشار إليها هي موجودة لديه وبخط العلامة..
٢٢٥. راجع مثلاً ما ذكره السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه المراجعات، وقد مر معنا آنفاً نموذج أيضاً هو: محمد الزرندي الحنفي: نظم درر السمطين، م. س. ن.

www.noormags.ir

عن سيّدنا رسول الله ﷺ أنّه قال: لم يبق من المبشّرات إلاّ الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له [٢٢٧]. وعنه ﷺ أيضاً أنّه قال: الرؤيا الصادقة جزء من ستّةٍ وأربعين جزءاً من أمر النبوّة [٢٢٨]، وكأنّ سيدنا أحسن الله إليه، لم يقف على ما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الفصول، من العيون والمحاسن [٢٢٩] من جهة المنامات والعمل بها والحديث فيها، فليقف على ذلك موفّقاً إن شاء الله.

وأمّا قوله ـ فسح الله في مدّته ـ لا يحاد على أحدٍ نفسه ويعلّلها بالأماني، فوالله ما رخّص الله لأحدٍ من خلقه في معصيةٍ كائناً من كان، فمن لا يقول بهذا القول ما يكون مسلماً، ولكنّا نجتهد ونعمل ونقارب ونسدّد ونتّكل بعد ذلك على فضل الله، لا على أعمالنا الضعيفة، المشوبة بالشواغل وعدم الإخلاص والرياء والعجب، وغير ذلك ممّا لا يحصى. وقد قال الله تعالى ﴿**أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه**﴾ [٢٣٠] ولم يقل سبحانه؛ يرجو عمله، مع ما ذكره سبحانه من عمله. وكذلك قوله تعالى ﴿**أنّ الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله**﴾ [٢٣١]، ولم يقل سبحانه؛ يرجوان أعمالهم. فيا ليت شعري أي إنكارٍ يتوجه على من لم يبُح لأحدٍ معصيةً، ولا رخص له في ترك واجب، فإن وقع من أحدٍ معصيةٌ أمره بالتوبة وأطمعه في فضل الله ورحمته. فقد صحّ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ألا إنّ الفقيه كلّ الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله [٢٣٢].

وأمّا قوله عن الضيف اليهودي، وإنّه لا ينبغي للمسلم إكرامه فقد قال الله تعالى ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحب المقسطين**﴾ [٢٣٣].

وأمّا قوله ـ حرسه الله ـ لو كانت الآية عامّة لوجب علينا مودّة أبي لهب بل كان أولى بالمودة من أمير المؤمنين عليه السلام، فهذا كلام لو لم يذكره الشيخ عفى الله عنه، لما كان لي لسانٌ ينطق به، ولا يدٌ تكتبه لما فيه من سوء الأدب مع الله سبحانه ومع رسوله ﷺ، ومع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام [٢٣٤]. لكن حيث ذكره الشيخ سامحه الله وجعله من جملة احتجاجاته، فلا بد من الجواب عنه، مع أن ترك الجواب عن هذا الكلام هو الجواب لقبحه وفساده وضعف حجّة من اعتمد عليه، أو ذكره في تصنيفه فأقول في جواب ذلك: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله علي وليّ الله، ما أقلّ الإنصاف في الناس وأسرعهم إلى طلب التظاهر بما يتوهّمونه حجّة من غير تأمّل لما يتوجّه عليهم في ذلك من الله. يا مسلم كيف تنكر على من قال: إنّ الشريف المعترف لله سبحانه بالوحدانية، ولنبيّه ﷺ بالرسالة، وللأئمة عليهم السلام بالإمامة، يجب علينا مودّته، وحبّه ولإيمانه ولانتسابه إلى سيّدنا رسول الله ﷺ، وإن كان فاسقاً، أبغضنا فسقه وأعماله وقابلناهُ عليها إذا ثبتت بما يقتضيه الشرع المطهّر، وكيف يستجيز مسلم أن يورد على هذا الكلام مودّة أبي لهب عابد الأوثان المحارب لله ولرسوله ﷺ، الذي شهد الكتاب العزيز بضلاله وشنآنه، وكيف يدخل في عموم الآية الكريمة، مع إجماع الأمّة، بل جميع الخليقة على صفاته التي نطق بها الكتاب العزيز، ما هذا إلاّ أمرٌ عظيمٌ ممّن تجاسر على ذكره،

٢٢٦. راجع سورة يوسف في القرآن الكريم وتفسيرها.
٢٢٧. ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٢٩، نقلاً عن صحيح مسلم.
٢٢٨. الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٥٧.
٢٢٩. الشيخ المفيد: الفصول في العيون والمحاسن، وله كتاب عنوانه: شرح المنام. يتحدث فيه عن هذا الموضوع ويشرحه.
٢٣٠. الزمر/ ٩.
٢٣١. البقرة/ ٢١٨.
٢٣٢. الإمام علي: نهج البلاغة، قصار الحكم، حكمة رقم ٩٠.
٢٣٣. الممتحنة/ ٨.
٢٣٤. يبدو أن هذا الرأي لابن الحسام قد أثار حفيظة ابن سنان... فهاجمه بهذه الألفاظ المقذعة... وهو الذي ما برح يخاطبه بسيدنا.. والدعاء له في كل سانحة كما نلاحظ في سياق النص..

www.noormags.ir

وجعله حجّة يردّ بها على خصمه فيما أجمع المسلمون عليه من مودة الأشراف المسلمين ومحبّتهم وإكرامهم وصلتهم.

وخلاصة الأمر أنّ الشيخ حرسه الله، حصل عنده ألمٌ عظيمٌ لعدم قباء[٢٣٥] ولده، وملأ ذلك الألم قلبه، ففاض على لسانه، فأظهر ما في قلبه من التعصّب على هذه الطائفة، وإظهار مثالبهم[٢٣٦]، وستر محاسنهم، وإلحاق المعرة[٢٣٧] بهم، إلاّ ثلاثة أنفس أو أربعة سمّاهم وعيّنهم، لقد حجزت[٢٣٨] واسعاً، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وأمّا إنكاره ـ فسح الله في مدّته ـ نسبة مودّة الأشراف بالصوم، مع تفاوت درجاته. وقوله ـ حرسه الله تعالى ـ: «يا ليت شعري أيّ مناسبةٍ بين هذين الأمرين، والصوم عبادة مأمور بها مرغّب فيها». فهذا كلام من لم يتقن في علوم الدين، ولم يعرف من علوم الإسلام إلاّ أحكام الواجبات الخمس، ولم يعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[٢٣٩]، ومن جملة شعب الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله، بل هو آكد[٢٤٠] من غيره، لأنّه لم يرد في شيءٍ من شعب الإيمان أنّه أقوى عُرى الإيمان إلاّ الحب في الله، فهو من أكبر الطاعات وأكثرها ثواباً، والمتحابّون في الله تعالى ممّن يظلّهم الله تعالى تحت ظلّ عرشه[٢٤١].

فوضح الآن أنّ الإنكار والكلام الذي أورده الشيخ غير واردٍ، بل الإنكار على من منع ذلك، لأنّ مودّة الأشراف ومحبّتهم أدنى مراتبها الندبية[٢٤٢]، بل موالاة المؤمنين بعضهم لبعضٍ أفضل عند الله تعالى من الصوم. وقد ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام وغيرهم: إنّ المؤمن أعظم حرمةً عند الله من الكعبة[٢٤٣]. فمحبة المؤمنين ومودتهم وتآلفهم وبرّهم وإصلاح ذات بينهم، طاعةٌ مأمورٌ بها، مرغّبٌ فيها، فكيف تكون مودّة الأشراف التي وردت فيها الخصوصية بالنسبة إلى غيرهم، اللهم إلاّ أن يقول الشيخ ـ حرسه الله تعالى ـ إنّ مودّة الأشراف محرّمة منهيٌّ عنها، فحينئذٍ يرد إنكاره، وظاهر كلامه يقتضي ذلك، وإلاّ فالتشبيه واقعٌ في محله، بل هو أولى، لأنّ محبّة الأشراف بل المؤمنين طاعةٌ مأمورٌ بها مرغّبٌ فيها مع تفاوت درجاتهم، فإنّا لا نحب غير المعصوم كما نحبّ المعصوم، ولا نحبّ الجاهل كما نحبّ العالم، ولا نحبّ الفاسق كما نحبّ الصالح، ومن دفع هذا الأمر فقد جحد ما هو معلومٌ بالضرورة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فعنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: أقوى عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله[٢٤٤]، وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «صلاح ذات البين أفضل عند الله تعالى من عامّة الصوم والصلاة»[٢٤٥].

وأما قوله ـ فسح الله في مدّته ـ عن الغلام الذي قتله الخضر ـ على نبيّنا وعليه السلام، وهذه حجّتنا بعينها إذ لم ينفع هذا الغلام إيمان أبويه، فهذا عدولٌ عن الحجّة وانقطاع وتنقّلٌ، لأنّي لم أذكر إلاّ الغلامين الذين أقام الخضر ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ لهما الجدار، لصلاح أبيهما. وأما الغلام الذي قتله الخضر فلم يجرِ له ذكرٌ البتّة، وليس في قتل الخضر للغلام الذي قتله ردٌّ على الحجّة التي

٢٣٥. القباء: ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه.
٢٣٦. الثلب: العيب والنقص.
٢٣٧. المعرة: المساءة والمكروه.
٢٣٨. حجزت بمعنى: فصلت. أي فصلت بينهم.
٢٣٩. البياضي العاملي: الصراط المستقيم، ج ١، ص ٢٠٧، نقلاً عن الإمام الطبرسي.
٢٤٠. آكد: أوكد، يقال: أوكد العهد أو آكد: أوثقه.
٢٤١. تذكير بالآيات الكريمة التي تتحدث عن المحبة في الله والأحاديث الثبوتية. لاحظ: ابن حجر: فتح الباري، م ١٠، ص ٣٨٧، باب الحب في الله.
٢٤٢.
٢٤٣. العجلوني: كشف الخفاء، م ٢، ص ٣٢٩.
٢٤٤. الكليني: الكافي، م ٢، ص ١٠٢.
٢٤٥. الإمام علي: نهج البلاغة، وصية ٤٧ وهي وصية للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

www.noormags.ir

ذكرناها، لأنّ الخضر عليه السلام أطلعه الله تعالى على أنّ الغلام طُبعَ كافراً، وأنّه لا يحصل منه الإسلام. كما أطلع الله تعالى نوحاً عليه السلام أنّه لن يؤمن من قومه إلاّ من آمن. وأنهم لا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً فدعى عليهما نوح بالهلاك، وكان هلاكهم لطفاً لجميع الخلق، كما كان قتل هذا الغلام لطفاً لأبويه، فلمّا أنكر موسى عليه السلام على الخضر ما فعل صرّح بالعذر. وأين هذا ممّا نحن فيه، فإنّ الغلام كافرٌ، ونحن نتحدث في المسلمين المؤمنين، فإنّ الخضر أقام الجدار بلا أجر مع حاجتهما إليه كما أخبر به سبحانه، إكراماً لليتيمين لصلاح أبيهما، والحجة في هذا باقيةٌ على حالها، والاستشهاد به في محله. وقد جاء في التفاسير أن الصالح لم يكن أباهما الأدنى، بل كان بين الغلامين وبينه آباء كثيرة، وورد ذلك من طريق أهل البيت عليهم السلام، فللّه الحمد والمنّة.

وأما قوله في الجماعة الذين أخذوا ما كان مع ابن عنين الشاعر، أنه كان يحب أن يحكم فيهم بقوله تعالى ﴿إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾[٢٤٦] الآية، فحكم هذه الآية الكريمة لم نمنعه، ولا يلزم أنّه إذا لم يعمل بالآية أن يكون حكمها منسوخاً، ولو لزم ذلك لكان يلزم منه أن يكون أكثر الأحكام منسوخة، فإنّ في هذا العصر لا تقام الحدود على مستحقّها، ولا يلزم من ذلك نسخ الشرائع، ونحن لم نتعرض لإقامة حدٍ ولا تعطيله، بل حكينا صورة الواقعة التي جرت لابن عنين على ما ذكر، فإذا ثبت المنام لم يكن الإنكار متوجّها علينا فيه، وإنّما يكون إنكار الشيخ -وفقه الله تعالى- متوجّهاً على فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها)، الّتي نطق الكتاب العزيز بتطهيرها، ولا ينبغي للشيطان أن يتصوّر بصورتها في المنام، لأنّها من جملة المعصومين، وقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من رآني فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي»[٢٤٧]، أو كما قال صلى الله عليه وآله [كذا]. وقد كان الفقيه العلاّمة عزّ الدين أحمد بن عبد الكريم الحمصي المعروف بابن الجلال رحمه الله، يحثُّ الأشراف بمدينة النبي صلى الله عليه وآله على حفظ هذا المنام بجملته وأشعاره، وكان يقول بصحّته، وهو ممّن رواه عن ابن عنين الشاعر. وكان عزّ الدين رحمه الله أقام بالمدينة إلى أن توفّي بها في رابع شهر صفر سنة سبع وثمانين وستماية (٤ صفر ٦٨٧ق) قدّس الله روحه.

وأمّا قول سيّدنا[٢٤٨]: أنّ محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله ومحبّة أهل بيته غير نافعةٍ لمن أحبهم، فنعوذ بالله من هذا الاعتقاد الرديء، فوالله ما نرجو الخير في الدينا والآخرة إلاّ بفضل الله تعالى ورحمته ومحبّته، ومحبة رسوله وآله عليهم السلام، وإلاّ أي عمل لنا نرجوه، وهذا الذي ذكره مردودٌ عليه بإجماع الأمّة، وبما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال له رجلٌ: يا رسول الله متى السّاعة، فقال له رسول الله: ما أعددت لها، قال: فكأنّ الرجل استكان بجر[م]، قال: يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنّي أحبّ الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مع من أحببت[٢٤٩]، فما فرح المسلمون بعد إسلامهم بشيء كفرحهم بمقالة رسول الله صلى الله عليه وآله تلك. وفي الصحيح أيضاً أنّه قيل للنبي صلى الله عليه وآله: الرجل يحبّ القوم ولما يلحق بهم، قال: المرء مع من أحبّ. وروى الشيخ أبو

٢٤٦. المائدة/٣٣.
٢٤٧. الرازي: القواعد، ج ١٠، ص ٢٤٤.
٢٤٨. لاحظ هذه العبارة سيدنا المتكررة في مخاطبة ابن سنان لابن الحسام.

www.noormags.ir

جعفر [٢٥٠] -قدس الله روحه- في الأمالي عن أبي ذر (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ لله ملائكة يهدمون سيّأت شيعتنا كما يهدم القوم البنيان» [٢٥١]. وفي الكتاب المذكور عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من أحبّنا لله، وأحبّ محبنا لا لغرض دنيا يصيبها منه، ثم جاء يوم القيامة وعليه ذنوب مثل رمل عالج أو زبد البحر، غفرها الله تعالى له [٢٥٢]. وفي الكتاب المذكور عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إذا كان يوم القيامة، وكّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم [٢٥٣]، ثم قرأ عليه السلام ﴿إنّ إلينا إيابهم ثمّ إنّ علينا حسابهم﴾ [٢٥٤]. وروى عن سيّدنا رسول الله ﷺ أنّه قال: حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام تأكل السيئات كما يأكل النارُ الحطب [٢٥٥]. روى ذلك الموالف والمخالف [٢٥٦]. ورووا أيضاً جميعاً عن رسول الله ﷺ أنّه قال: أوّل أربعة يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن الحسين، وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا [٢٥٧]. وفي كتاب الأمالي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ما من عبدٍ ولا أمةٍ يموت وفي قلبه مثقال حبّةٍ من خردلٍ من حبّ عليّ عليه السلام إلاّ أدخله الله عزّ وجل الجنّة [٢٥٨]، وفي الكتاب المذكور عن رسول الله ﷺ أنّه قال: يقول الله عزّ وجل من آمن بي وبنبيّ وبوليّ أدخلته الجنّة على ما كان من عمله [٢٥٩]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً لا تنحصر، والقليل كافٍ لمن أنصف، وغير المنصف لا ينفع معه الكثير.

وهذا الكلام صدر على جهة البحث والجواب لما شنّع به الشيخ -نفع الله به- على هذه الطائفة وعلى من ينصر [كذا] لهم، ورداً لعاصيهم فضل الله تعالى ورحمته وشفاعة نبيّه وأهل بيته عليه وعليهم السلام، بل المؤمنون يشفع بعضهم لبعض. قال الله تعالى ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ [٢٦٠]، وأنا استغفر الله تعالى من كلّ خطأ وزلّ في قولٍ أو عملٍ، وأوصي نفسي وكلّ من وقف على كلامي هذا من شريفٍ وغيره بتقوى الله تعالى، ولزوم طاعته واجتناب معصيته، فليس المطيع كالعاصي، ولا المحسن كالمسيء، فنسأل الله تعالى أن يوفّقنا لما يرضيه، ويستعملنا بطاعته في كلّ ما نقصده وننويه، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا فنعجز، ولا إلى أعمالنا فنهلك، وقد تصدّق سبحانه علينا قبل سؤالنا، فكيف وقد سألناه. وقد اتفق نظم هذه الأبيات فألحقت بالرسالة وهي [٢٦١]:

محبّ رسول الله حقّاً وآله ... يخلّد معهم في جنان التنعّم
بذاك أتانا النصّ من غير ريبةٍ ... وقد صحّ هذا الحديث المسلّم
فقال بأنّ المرء مع من يحبّهُ ... سيحشرُ حتماً فاعلم الحق واعلم
وكن واثقاً بالله وأحسن بربّنا ... ظنونك إنّ الله أهل التكرم
وجاهد هوى النفس المظلّة واصطبر ... على طاعة الرحمن مع كلّ مسلم
ومن كان ذا فسق من الناس ظاهر ... فعظه ولا تصحبه في اللهو تسلم

٢٤٩. مسلم: صحيح مسلم، ج ٨، ص ٤٢.
٢٥٠. هو الشيخ أبو جعفر الطوسي.
٢٥١. الشيخ الطوسي: الأمالي، ص ١٩١، والسيد المرتضى، الأمالي، ج ٢، ص ٢.
٢٥٢. الشيخ الطوسي: الأمالي، ص ١٥٦.
٢٥٣. الشيخ الطوسي: الأمالي، ص ٤٠٦.
٢٥٤. الفجر / ٢٦ و ٢٥.
٢٥٥. علي بن يونس العاملي: الصراط المستقيم، ج ١، ص ١٩٩.
٢٥٦. أحمد بن عبد الله الطبري: ذخائر العقبي، ص ٩٢. «حب علي يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب».
٢٥٧. ابن حجر: الصواعق المحرقة، ص ٩٦.
٢٥٨. الشيخ الطوسي: الأمالي، ص ٣٣٠.
٢٥٩. الشيخ الطوسي: الأمالي، ص ٣٦٦.
٢٦٠. الشعراء / ١٠٠ و ١٠١.
٢٦١. تماماً كما فعل ابن الحسام عند ما ذيل رسالته كشف اليقين بقصيدتين يعلن في الأولى ولاءه لآل البيت عليهم السلام، وفي الثانية مدحه لأمير المؤمنين علي عليه السلام.

www.noormags.ir

تمت بحمد اللـه وعونه .

نقلت هذه الرسـالات [كذا] من ابتدائها إلى إنتهائها من خط : خاتمة المجتهدين الشيخ زين الدين الشهير بالشهيد الثاني - قدّس اللـه نفسه الزكيّة ، وأفاض على تربته المراحم الربانية .

www.noormags.ir